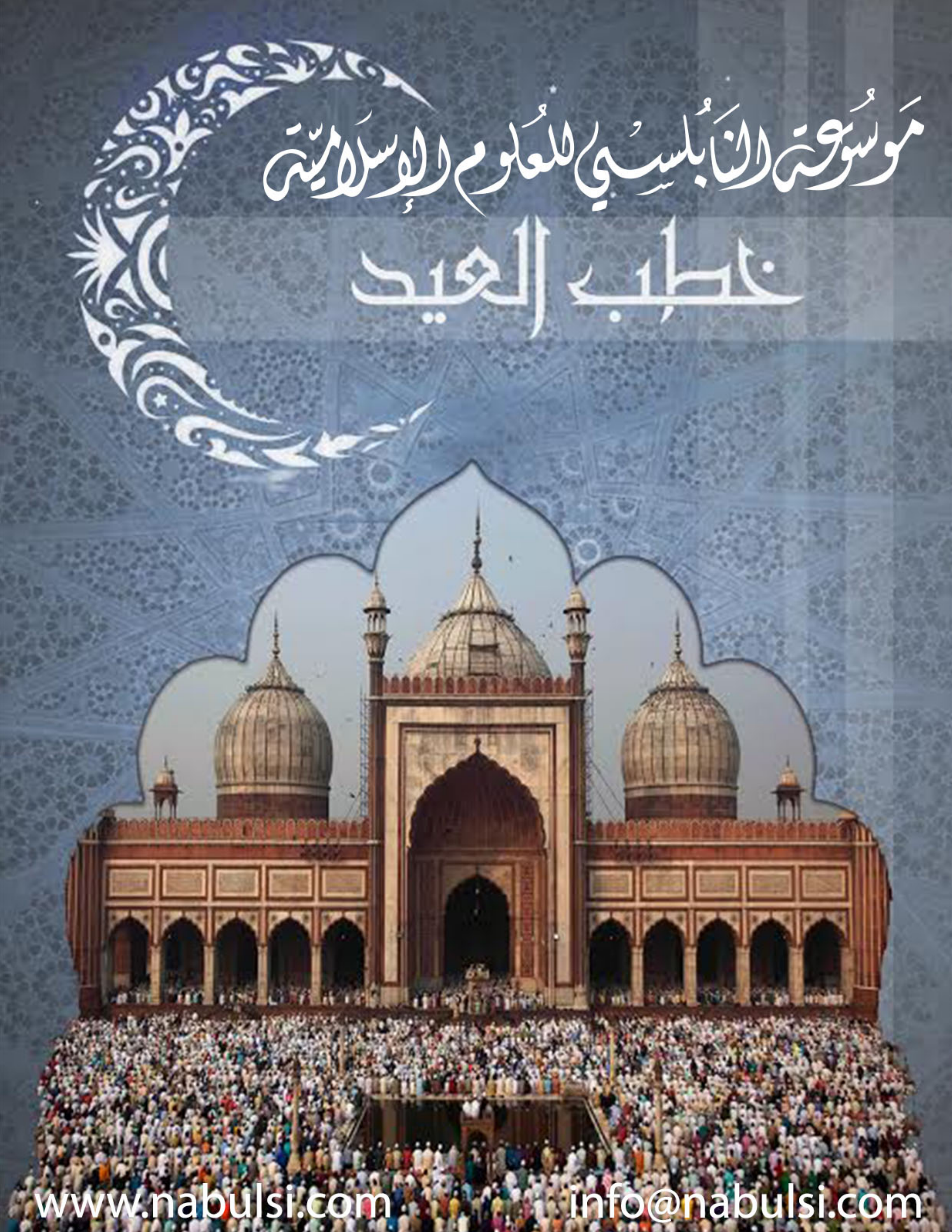


موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية
خطب العيد
www.nabulsi.com
info@nabulsi.com

الدرس {01-14}

خطبة عيد الأضحى المبارك لعام 1429هـ - 2008م : خ1- العيد ، خ2. الإنسان هو عدو نفسه.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-12-08

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة السلام على سيدنا محمد ، وعلى آله و أصحابه الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، ﷺ ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى

أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

للعيد عدة معانٍ منها :

1 - المعنى الديني :

أيها الأخوة الكرام ، نحن في أيام العيد ، عيد الأضحى المبارك ، والعيد عند المسلمين مظهر من مظاهر الدين، أعيادنا دينية ، أعيادنا إسلامية ، وشعيرة من شعائره ، وينطوي العيد في الإسلام على حكم عظيمة ، ومعانٍ جليلة ، وأسرار بديعة ، نتميز بها عن بقية الأمم ، في شتى أعيادها .

أيها الأخوة الكرام ، بادئ ذي بدء ، العيد في معناه الديني شكر لله تعالى على تمام العبادة وتمام الهدى ، قال تعالى :

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾

(سورة البقرة)

هذا المعنى الديني .

2 . المعنى الإنساني :

والعيد في معناه الإنساني يوم تلتقي فيه قوة الغني وضعف الفقير على محبة الله ورحمته وعدله ، عنوانها الزكاة في رمضان ، والإحسان ، والتوسعة ، والأضحية في عيد الأضحى المبارك .

3 . المعنى النفسي :

والعيد في معناه النفسي حدٌّ فاصل بين تقيد تخضع له النفس في أيامها الرتيبة ، وتسكن إليه الجوارح ، وبين انطلاق تنفتح له اللهوات ، وتتنبه له الحاجات .

4 . المعنى الزمني :

العيد في معناه الزمني قطعة من الزمن خصصت لنسيان الهموم واستجمام القوى الجاهدة في الحياة .

5 . المعنى الاجتماعي :

أيها الأخوة الكرام ، والعيد في معناه الاجتماعي يوم الأطفال يفيض عليهم بالمرح والسعادة ، ويوم الفقراء يلقاهم الأغنياء باليسر والسعة ، ويوم الأرحام يجمعها على البر والتقوى ، ويوم المسلمين يجمعهم على التسامح والتزاور، ويوم الأصدقاء يجدد فيهم أواصل الحب ودواعي القرب ، ويوم النفوس الكريمة تتناسى أضغانها فتجتمع بعد افتراق وتتصافى بعد كدر وتتصافح بعد انقباض .

العيد تجديد للرابطة الاجتماعية بين الناس :

العيد تجديد للرابطة الاجتماعية على أقوى ما تكون من الحبِّ والوفاء والإخاء ، فيه أروع ما يضفي على النفوس من الأنس والبهجة ، وعلى الأجسام من الراحة ، ومن المغزى الاجتماعي أنه تذكير لأبناء المجتمع بحق الضعاف والعاجزين ، حتى تشمل الفرحة بالعيد كل بيت ، وتعمّ كل أسرة ، إلى هذا المعنى الاجتماعي يرمز تشريع صدقة الفطر ، في عيد الفطر ونحر الأضاحي في عيد الأضحى ، فإن من تقديم ذلك قبل العيد أو في

أيامه إطلاقاً للأيدي الخيرة في مجال الخير ، فلا تشرق شمس العيد إلا والبسمة تعلو كل الشفاه ، والبهجة تغمر كل القلب .

أيها الأخوة الكرام ، وفي العيد يستروح الأشقياء ريح السعادة ، ويتنفس المختنقون جواً من السعة ، وفيه يذوق المعدمون طيبات الرزق ، ويتنعم الواجدون بأطايبه ، في العيد تسلس النفوس الجامحة في قيادها إلى الخير ، وتهش النفوس الشحيحة إلى الإحسان ، في العيد أحكام تقمع الهوى ، من ورائها حكم تغذي العقل ، ومن تحتها أسرار تصفي النفس ، ومن بين يديها ذكريات تثمر التأسي في الحقّ والخير ، وفي طيها عِبر تجلي الحقائق ، وموازين تقيم العدل بين الأصناف المتفاوتة من البشر ، ومقاصد سديدة في حفظ وحدة وإصلاح شأنها ، ودروس تطبيقية عالية في التضحية والإيثار والمحبة .

العيد في الإسلام ميدان استباق إلى الخيرات ومجال منافسة في المكرمات :

في العيد تظهر فضيلة الإخلاص معلنة للجميع ، ويهدي الناس بعضهم بعضاً القلوب المفعمة بالمحبة ، وكأنما العيد روح الأسرة الواحدة في الأمة كلها ، في العيد تتسع الأرواح ، وتمتد حتى يرجع البلد الواحد بيتاً واحداً ، في العيد تنطلق السجايا على فطرتها ، وتبرز العواطف والميول على حقيقتها ، العيد في الإسلام سكينة ووقار ، وتعظيم للواحد القهار ، وبعد عن أسباب الهلكة ودخول النار ، العيد في الإسلام ميدان استباق إلى الخيرات ، ومجال منافسة في المكرمات .

أيها الأخوة الكرام ، مما يدل على عظم شأن العيد أن الإسلام قرن كل واحد من عيديه العظيمين بشعيرة من شعائره العامة التي لها جلالها الخطير في الروحانيات ، ولها خطرها الجليل في الاجتماعيات ، ولها ريحها المهابة بالخير والإحسان والبر والرحمة ، ولها أثرها العميق في التربية الفردية والجماعية .

أيها الأخوة الكرام ، هاتان الشعيرتان أو العبادتان هما : شعيرة الصيام وشعيرة الحج ، العيدان الكبيران في الإسلام ، عيد الفطر وعيد الأضحى يأتيان عقب عبادتين كبيرتين ، ومعنى العيد أنك تفرح برضوان الله :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(سورة يونس)

فرح المؤمن بطاعة الله ، فرح المؤمن بالهدى ، فرح المؤمن بالقرب من الله ، فرح المؤمن أن الله قواه على أداء هذه العبادة .

النبي عليه الصلاة والسلام ندب المسلمين في العيد إلى الأعمال الصالحة كصلة الأرحام :

أيها الأخوة الكرام ، في الأعياد في الإسلام رابط إلهي يجمع بين المسلمين ، كاشف على وجه حقيقة الإسلام ، عيدان دينيان كبيران ندب النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين إلى الأعمال الصالحة ؛ إلى صلة الرحم ، إلى إطعام الفقراء والمساكين .

أيها الأخوة ، قد يغيب عنا أن من أعظم العبادات التعاملية صلة الأرحام ، وأن الله عز وجل وعد عليها المؤمنين بكثرة الرزق ، وطول الأجل بمعنى خاص من معاني طول الأجل أن يكون هذا العمر مفعماً بالأعمال الصالحة. أيها الأخوة الكرام ، حتى اللقمة تضعها في العيد في فم زوجتك هي لك صدقة ، ويراها المؤمن يوم القيامة كأنها جبل أحد ، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ، العيد في الإسلام جمال ، وجلال ، وتمام ، وكمال ، وربط ، واتصال ، وبشاشة تخالط القلوب ، واطمئنان يلازم النفوس ، وبسط ، وانشراح ، وهجر للهموم وإطراح لها ، وكأنه شباب نضر أو غصن ربيع عاوده الإزهار .

الفرح في العيد واجب لأنه يوم تعم فيه المسرات وتلبى فيه الحاجات :

يجب أن تفرح في العيد ، يجب ، مهما ألمت بالأمة المآسي والأحزان ، الفرح في العيد فرض ، ويجب أن تلقي الفرح في قلوب من حولك ، من أولاد صغار ، من زوجة وفية ، هذا الذي يفتعل مشكلة في العيد بعيد عن الإسلام بعد الأرض عن السماء ، هذه أيام فرح ، هذه أيام أكل وشرب ، هذه أيام لقاء أسري ، لقاء بين الأقارب، هذه أيام صلة الأرحام ، هذه أيام الاقتراب من الواحد الديان .

ليس العيد هو يوم يبتدئ بطلوع الشمس وينتهي بغروبها ، ولكنه يوم تعم فيه المسرات ، تلبى فيه الحاجات ، يرأب الصدع بين الأسر ، تكون العلاقة بين من حولك علاقة حسنة ، قال تعالى :

﴿ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 1)

وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، أصلحوا ذات بينكم قال بعض العلماء : أصلحوا العلاقة بينكم وبين الله ، وقال بعض العلماء : أصلحوا العلاقة بينكم وبين الخلق ، المؤمن له حركة نحو الخالق ، حركة نحو السماء ، حركة نحو عبادة الله ، وطاعته ، وحبه ، والإقبال عليه ، وله حركة نحو الخلق .

ليس الإسلام تقوقعاً ، ولا انزواءً ، ولا انسحاباً من الحياة ، الإيمان عطاء ، أنت بالاستقامة تسلم ، وبالعمل الصالح تسعد ، وأيام العيد أيام عمل صالح ، وأيام العيد أيام زيارات ، أيام دعوة على الله ، أيام تذكير ، أيام تصبير :

﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا (200)﴾

(سورة آل عمران)

أيام عطاء ، أيام بشاشة ، أيام مودة ، أيام حب .

العيد تواصل و تناصح و تذكير و مودة :

أيها الأخوة الكرام ، يمسخ العيد إلى أكل للحلويات ، وارتداءٍ للجديد ، وتراشق بطاقات المعايدة تراشقاً ، يتمنى أن لا يراه في البيت ، يضع له البطاقة ، يأكل ، ويشرب ، ويسترخي ، ويؤدي بعض الواجبات أداءً شكلياً ، ليس هذا هو العيد ، العيد تواصل ، العيد هذا القريب الذي لا تراه في العام مرة ، ينبغي أن تزوره ، وأن تحرص على لقائه ، وتعجبني في بعض المدن الإسلامية أن هذه المدينة تقسم أربعة أرباع ، كل يوم أحد هذه الأرباع قابعاً في البيت ، فجميع الزيارات أصبحت حقيقية ، وأتمنى أن يجتمع شمل الأسرة الكبيرة في العيد في بيت واحد ، جلسة طويلة فيها مدارسة ، فيها تواصل ، فيها تناصح ، فيها تذكير ، فيها مودة ، فيها هدايا .

أيها الأخوة الكرام ، بعض المسلمين كما أنهم جردوا دينهم من مضامينه وأصبح دينهم إطاراً ليس غير ، أيضاً في الأعياد هذه الأعياد أيام فرح ، لا سمح الله ولا قدر في بعض الأمم الأعياد أيام معاص وآثام ، أيام اختلاط ، أيام فواحش.

على المسلم أن يكون في العيد مصدر أمن و خير لا استعلاء و كبر :

أيها الأخوة الكرام ، أنت في العيد ماذا تقول ؟ :

((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

كلمة ازدراء ، غيبة ، نميمة ، السيدة عائشة وصفت أختها صفية بأنها قصيرة فقال عليه الصلاة والسلام :

((يا عائشة ، لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

[أبو داود عن عائشة]

لا في غيبة ، ولا نميمة ، ولا بهتان ، ولا استعلاء ، ولا كبر ، ولا غطرسة ، كلما تواضع الإنسان علا عند الله ، كان النبي عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة هابه ، ومن عامله أحبه ، ينبغي أن تكون أيها المسلم مصدر أمن لإخوانك، مصدر خير لهم ، مصدر تطمين .

أيها الأخوة الكرام ، ليس معنى هذا أن ننسى مآسينا ، الأمة الإسلامية تعاني ما تعاني ولكن في العيد ينبغي أن نصحو من غفلتنا :

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾

(سورة الشورى)

أيام كالواحة في الصحراء نسترجع بها بعض المعاني المقدسة .

على الإنسان أن يكون تواصله في العيد مع الآخرين تواصلاً دينياً :

أيها الأخوة الكرام ، بطولتنا أن نعزو ما نحن فيه إلى أخطائنا بدءاً :

((ما من عثرة ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم ، وما يغفر الله أكثر))

[أخرجه ابن عساكر عن البراء]

ونهاية بالمحن الكبيرة التي يعانيها المسلمون ، من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر ، لما إذا اجتمعنا وتلاقينا لا يكون الحديث في هذه اللقاءات عن رب الأرض والسماوات ؟ عن خالق البشر ؟ عمن إليه المصير ؟ ماذا استمعت في الدروس ؟ ماذا استمعت في الخطب ؟ اجهد أن يكون هذا التواصل تواصلاً دينياً ، ليس معنى هذا أن تكون عبوساً قمطريراً ، الهوا وامرحوا فإني أكره أن أرى في دينكم غلظة ، ولكن لا ينبغي أن تأخذنا الدنيا إلى متاهاتها ، وإلى همومها وأحزانها ، أو لا تأخذنا إلى مباهجها المبنية على معاص لا

ترضي الله عز وجل :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الذاريات)

((وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

معاني العيد في الإسلام تملأ الصدر ثقة بعظمة هذا الدين :

أيها الأخوة الكرام ، معاني العيد في الإسلام معانٍ واسعة جداً ، معانٍ دينية ، معانٍ نفسية ، معانٍ اجتماعية ، معانٍ تملأ الصدر ثقة بعظمة هذا الدين .

أيها الأخوة الكرام ، هناك من يؤمن أن المسلم بإمكانه أن يفعل ما شاء له أن يفعل ، والعقبات لا تعد ولا تحصى، الله عز وجل يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا (72)﴾

(سورة الأنفال)

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (72)﴾

(سورة الأنفال)

هذه صفة المؤمنين يتعاونون ، يتواصلون ، يتناصحون ، يتباذلون :

((وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ))

[أخرجه الترمذي عن أبي إدريس الخولاني]

((والمُتَحَابّونَ فيّ جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النّبِيّونَ وَالشّهَدَاءُ))

[رواه أحمد عن عبادة بن الصامت]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا (72)﴾

(سورة الأنفال)

هذه صفاتهم :

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (72)﴾

(سورة الأنفال)

كتلة واحدة ، يتناصحون ، يتشاورون ، يتعاونون .

تخطيط الآخرين لإفقار و إضلال و إذلال المسلمين :

لكن المفاجأة بالآية التي تليها مفاجأة كبيرة :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (73)﴾

(سورة الأنفال)

يتآمرون ، ويسهرون ، ويخططون لإفقار المسلمين ، لإضلالهم ، لإفسادهم ، لإذلالهم ، لإبادتهم ، مليون قتيل، مليون معاق ، خمسة ملايين مشرد ، قال ندم ، الذي أدار هذا الحرب قال : خطأ معلوماتي فقط ، خطأ معلوماتي الضحايا سبع ملايين ضحية ، أمة تدمر لمئة عام ، خطأ معلوماتي :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (73)﴾

(سورة الأنفال)

لا أنسى أيها الأخوة الكرام ، أن حرباً وقعت في بلدين في جنوب أفريقيا أذكر أحدهما راوندا ، تمّ ذبح ثمانمئة إنسان في أسبوعين هذا رقم دقيق ، من يقبع في البيت الأسود قال : لو تدخلنا لأنقذنا أربعمئة ألف إنسان لكنني لم أتدخل .

أما على وهم معلوماتي ، على خطأ معلوماتي ، ضحى بسبعة ملايين إنسان ، خمسة مشردين ، مليون معاق ،

مليون قتيل ، مع التعذيب ، والتدمير ، وسرقة المتاحف ، وتحطيم البلاد .

تعاون الكفار و تكاتفهم بالرغم من قلة القواسم المشتركة بينهم :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (73)﴾

(سورة الأنفال)

يتعاونون ، يتواصلون ، يتعاونون وبينهم 5% قواسم مشتركة ، والمسلمون تسيل دماءهم و بينهم 95% قواسم مشتركة ، هذه وصمة عار بحق الأمة أين الشاهد ؟ الشاهد بضع كلمات في الآية الثانية قال تعالى :

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)﴾

(سورة الأنفال)

على من تعود الهاء ؟ الآية التي بعدها :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)﴾

(سورة الأنفال)

يعني إن لم تؤمنوا على الآية السابقة ، الهاء من أدق معاني هذا الضمير ، الهاء بالآية التي بعدها تعود على الآية السابقة بأكملها :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (72)﴾

(سورة الأنفال)

إن لم تكونوا كذلك فهناك :

﴿ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)﴾

(سورة الأنفال)

هذا الذي وقع الآن .

المعركة مع أعدائنا معركة نكون أو لا نكون فلابدّ لنا من الصحوة و التعاون :

لذلك قال تعالى :

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47)﴾

(سورة إبراهيم)

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

(سورة آل عمران الآية : 120)

حاملات طائراتهم ، صواريخهم العابرة للقارات ، أسلحتهم الجرثومية ، الكيماوية ، الأسلحة الفسفورية التي تبقى آثارها أربعة آلاف عام ، قصفت بلاداً إسلامية بقنابل فسفورية ، التربة ملوثة لأربعة آلاف عام قادمة ، بضع ملايين من القنابل العنقودية ألقيت في لبنان ، أقمارهم الصناعية ، الإعلام بيدهم ، الأموال بيدهم ، التحالفات بيدهم .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (73)﴾

(سورة الأنفال)

﴿ لَّا تَفْعَلُوهُ (73)﴾

(سورة الأنفال)

إن لم تؤمنوا ، إن لم تهاجروا ، إن لم تجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، إن لم تؤووا ، إن لم تنصروا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

أيها الأخوة الكرام ، لابدّ من أن نصحو من غفلتنا ، المعركة مع أعدائنا معركة نكون أو لا نكون ، معركة إفقار، معركة إضلال ، معركة إفساد ، كل هذه الفضائيات والله لم توضع عبثاً ، من أجل إفساد المسلمين .

الورقة الرابحة الوحيدة بأيدي الطغاة ورقة التفرقة الطائفية والدينية والمذهبية :

أيها الأخوة الكرام ، العيد مناسبة للتناصح ، مناسبة للتعاون ، مناسبة للعطاء ، مناسبة للحب ، مناسبة للتواصل، مناسبة لشفاء الصدور .

أيها الأخوة الكرام ، المسلمون في أشد الحاجة على أن يدعوا أية قضية خلافية ، لماذا ؟ قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(سورة القصص)

وجعل أهلها شيعاً ، معنى ذلك أن الورقة الرابحة الوحيدة بأيدي الطغاة ورقة التفرقة الطائفية ، والدينية ، والمذهبية، كيف نسقطها من يديه ؟ بوعينا ، بتعاوننا ، بتواصلنا ، بمحبتنا .

على المسلمين أن يبتعدوا عن القضايا الخلافية فيما بينهم :

لذلك أيها الأخوة ، الحكمة ، والإخلاص ، والوطنية إن صحّ التعبير ، والإنسانية ، والتدين الصحيح ، يمنعنا أن نطرح أية قضية خلافية ، بحاجة إلى رأب الصدع ولمّ الشمل ، لذلك لما دخل النبي عليه الصلاة والسلام المدينة ماذا قال ؟ والله كلام يكاد لا يصدق ، يوجد بالمدينة أوس وخزرج مسلمون ، و وثنيون ، وفيها يهود ، وفيها نصارى ، فيها أعراب ، فيها مهاجرون قرشيون ، أول وثيقة كتبها النبي بعد قدومه للمدينة قال : أهل يثرب أمة واحدة ، سلمهم واحد ، وحربهم واحدة ، لليهود دينهم ولنا ديننا ، أي تعيش بمجتمع يجب أن تتواصل ، هناك قواسم مشتركة ، هناك تحديات مشتركة ، نقص المياه يضر جميع الفئات ، مرض الإيدز يضر جميع الفئات ، الفساد إذا استشرى يضر جميع الفئات ، هناك قواسم مشتركة ، مصالح مشتركة ، مطالب مشتركة ، تحديات مشتركة ، في ضوء هذه المصالح والمطالب والتحديات نتعاون ، أما عقائدنا لنا عقائدنا ، لنا إيماننا ، لنا مبادئنا، لنا قيمنا ، لنا صلواتنا ، لنا عباداتنا ، هذا الموقف الكامل الآن ، التعاون ، التواصل وبالتعبير المعاصر جداً التعايش ، والمعاصر جداً الوحدة الوطنية ، الآن الأرض لا تصلح إلا بهذه المبادئ التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام في أول يوم في المدينة المنورة قال : أهل يثرب أمة واحدة ، مع أنهم مختلفون .

أيها الأخوة الكرام ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يملأ أيامكم بالفرح ، والتوفيق ، والتواصل الأسري ، والمحبة ، المسلمون اكتفوا من هذا الشقاق والنفاق والمهاترات ، نحن يجب أن نقف على قدمين راسختين كي نرسم ملامح المستقبل. .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم ، فيا فوز المستغفرين ، أستغفر الله .

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى صحابته الغر الميامين ، و على آل بيته الطيبين الطاهرين .

أنت نفسك تحول بينك و بين التقدم :

أيها الأخوة ، جاءتني رسالة بالبريد لطيفة ، شركة تخبر موظفيها أن هناك موظفاً توفاه الله ، وكان هذا الموظف يحول بينكم وبين تقدمكم ، عقبة كأداء أمام رقيكم ، كان هذا الموظف أكبر عقبة أمام التفوق ، أمام الحب ، فلابدّ من أداء التعزية له بعد أن توفي ، وهو في غرفة من غرف الشركة ، موضع في نعش ألقوا عليه النظرة الأخيرة ، وقدموا التعازي ، وتولى فريق إدخال الموظفين واحداً واحداً ، وضع نعش وفي أسفله مرآة فعندما يصل الموظف ليرى من هذا المتوفى الذي حال بينه وبين تقدمه ينظر فيرى نفسه .

أي هناك إنسان واحد يحول بينك وبين التقدم ، وبين أن تكون بطلاً ، وبين أن تكون إنساناً عظيماً ، وبين أن تكون رقماً صعباً ، وبين أن تكون متألقاً ، وبين أن تكون وحدك أمة :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً (120)﴾

(سورة النحل)

هو أنت نفسك ، مهما تكون الظروف ، والملابسات ، والعقبات ، والصوارف ، والمؤامرات ، والفساد ، بإمكانك أن تكون عظيماً ، أذكر قصة إنسان في قرية من القرى البدائية من قرى حلب ، أراد أن يكون متعلماً ، مشى على قدميه لا يملك أجرة نقل ، وقتها كان النقل بالقروش ، وصل إلى حلب اشتغل في مطاعمها ، وفي أعمال متعبة ومزعجة ، إلى أن تملك أجرة الوصول إلى دمشق ، في دمشق تابع علمه ، واشتغل مدرساً بثانوية خاصة،

بوجبة طعام واحدة ، القصة منذ خمسين سنة ، وما مات إلا رئيس جامعة دمشق .

القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره سيتحقق إذا كان صادراً عن إرادة وإيمان :

إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام ، إذا كان صادراً حقاً عن إرادة و إيمان ، لما أطلّ الموظفون على هذا المتوفى الذي هو أكبر عقبة أمام تقدمهم ، هو الذي أحبطهم ، هو الذي جعلهم كسالى، متخلفين، نظر رأى نفسه، أنت العقبة الوحيدة ، أنت وحدك، من يمنعك أن تكون صادقاً ؟ من يمنعك أن تكون أميناً ؟ من يمنعك أن تكون عفيفاً بأقصى البلاد بأشد الأنظمة صرامة ؟ من يمنعك أن تكون أخلاقياً ؟ أن تكون أباً صالحاً ؟ أن تكوني أماً رؤوماً ؟ أن تكوني زوجة وفية من يمنعك ؟ المسلمون تركوا ما فرضه الله عليهم وحشروا أنوفهم في غير ما خلقوا له .

ما من مصيبة على وجه الأرض إلا بسبب معصية لمنهج الله :

أيها الأخوة الكرام ، أنصحك وأنصح نفسي قبلك في أي سلبية في حياتك اتهم نفسك وحدك ، كن جريئاً ، لا تقفز على المشكلة ، واجهها ، أنت السبب في تقصير ، في تسيب ، في معاصٍ ، في آثام ، الأمن الجنائي عندهم قاعدة إذا شاهدوا جريمة في عندهم أول سؤال ابحث عن المرأة ، في الأعمِّ الأغلب منافسة على امرأة ، أو من أجل امرأة ، الإنسان هو السبب ، إن كنت ذكياً أو عاقلاً لا تتهم أحداً اتهم نفسك ، ابحث عن المرأة أي بالمنطق الآخر ابحث عن المعصية ، هناك معصية حالت بينك وبين أهدافك ، هناك معصية جعلت بيتك شقياً ، هناك معصية جعلت الوفاق الزوجي مستحيلاً ، ابحث عن المعصية ، ما من مصيبة على وجه الأرض إلا بسبب معصية لمنهج الله ، وما من معصية لمنهج الله إلا بسبب الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

الاصطلاح مع الله و العودة إلى منهجه سبيلنا الوحيد للقضاء على أعدائنا :

أقسم لكم بالله لنا أعداء تقليديون نستمع إلى عداواتهم من خمسين سنة ، الاستعمار ، الصهيونية العالمية ، إسرائيل ، الطغاة ، أقسم لكم بالله نحن أعداء أنفسنا ، العدو يقوى بضعفنا ، يقوى بتفرقنا ، يقوى بجهلنا ، أيها الأخوة ، آن لنا أن نصحو من غفلتنا ، مشكلة المسلمين كبيرة جداً ، العالم كله يتآمر عليه ، العالم كله أعلن حرباً عالمية ثالثة في كل البقاع ، في كل القارات ، لا يوجد حل إلا أن نصطلح مع الله ، أن نعود إلى منهج

الله، أن يحب بعضنا بضعاً :

((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ))

[البخاري عن مصعب بن سعد]

إذا ما يرقص قلبك حينما تطعم جائعاً ، تكسو عارياً ، فلست بمسلم ، فندق في بلد كلف افتتاحه مئة مليون دولار، أي خمسمئة مليون ليرة سورية ، نصف مليار ليوم واحد والأطفال في غزة يموتون من الجوع ، والله أعجبتني فتوى سمعتها في بلد عربي أن الأضحية الأولى أن تذهب قيمتها إلى أهل غزة إذا في طريق سالك ، والله يموتون من الجوع ، أنت مسلم يهنأ لك عيش أن ترى أولادك أمامك ، بيتك واسع مدفأ ، مكيف ، مركبتك ، نزهتك ، أين تقضي العيد بأي فندق ؟ وأناس يموتون من الجوع أو من تعطل الكهرباء ، إذا ما في إحساس لهذا المسلم الذي يعاني ما يعاني اقرأ على الأمة السلام ، بلد إسلامي يعد من أكبر البلاد الإسلامية عنده اثنين ونصف مليون كيلو متر مربع (أراضي صالحة للزراعة)وفيه نهر من أطول أنهار العالم يصب أربعة أخماسه في البحر ، في تربة من أفضل الترب مساحتها 2.5 مليون ، ومياه غزيرة ، وشعبها يعاني ما يعاني ، وبإمكان هذا البلد أن يطعم العالم الإسلامي كله .

على المسلمين التواصل و المحبة و الابتعاد عما يفرقهم و يشتت شملهم :

الآن اسمعوا الخبر الثاني : ثلاثة آلاف مليار دولار من أموال المسلمين مودعة في بنوك أجنبية ، هذه أمة ؟ لا تتهم أحداً ، العدو ذكي جداً ينتهز الفرص ، يقوى بضعفنا ، يقوى بتفرقنا ، يقوى بعداوتنا ، دماء تسيل وبين المسلمين خمسة وتسعون بالمئة قواسم مشتركة ، والأعداء والله كنت في ألمانيا ما صدقت راكبين بمركبة بأخين ، قال : هنا هولندا ، أنا بثقافتي في حدود ، في أمن عام ، في جمارك ، في جوازات ، في ختم ، ما هذا الكلام ؟ قال : هنا هولندا ، ما الدليل ؟ قال لوحات السيارات ، بألمانيا بيضاء هنا صفراء ، حركة ثانية في بلجيكا ، أوربا بأكملها بلد واحد ، عملة واحدة ، جواز واحد ، تأخذ فيزا لبلد تدخل البلاد كلها ، حروب بينهم مئات السنين ، طوائف ، وقوميات ، وعداوات ، أذكياء وجدوا مصالحهم بتعاونهم ، نحن نتقاتل أن التراويح ثمان ركعات أم عشرون ؟ التشهد هكذا أم هكذا ؟ تذهب إلى بلاد الغرب جامع للفئة الفلانية ، ثلاثة أيام يصومون ، فئة بيوم وفئة بيوم وفئة بيوم ، لا يتفقون ، حتى في أمريكا القبلة نوعين ، هناك قبلة إلى مكة مباشرة ، وهناك قبلة تدور دورة معاكسة ، هؤلاء المسلمين ، شيء مؤلم جداً ، آن لنا ، قال لي شخص : التراويح كم ركعة على الإذاعة بث مباشر ؟ قلت له : صلِّ ثمانية واثني عشر وثماني عشرة وعشرين وفي بيتك وفي الجامع ولا تفعل مشكلة ، يكفي

مشاكل .

أيها الأخوة الكرام ، نحن في عيد ، في أيام تواصل ، أيام حب ، أيام عطاء ، أيام تضحية ، أيام مودة أسرية ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

من علامات إيمانك أن تحب زوجتك ، ومن علامات الكفر والمعصية أن تحب غير زوجتك ، أن تحب امرأة لا تحل لك ، هذه مشكلة المسلمين .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ، ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك و نتوب إليك ، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين ، انصر المسلمين في كل مكان ، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين ، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس {02-14}

خطبة عيد الفطر السعيد لعام 1429هـ - 2008م : خ1- صلة الرحم ، خ2- أسباب قطيعة الرحم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-10-01

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

إعلان الله تعالى الحرب على نموذجين ؛ على من تعامل بالربا وعلى من عادى لله ولياً :

أيها الأخوة الكرام ، أين العيد في القرآن ؟ قال تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ (185)﴾

(سورة البقرة)

هذه تكبيرات العيد ، الأعياد في الإسلام تأتي عقب عبادات كبرى ، والفرح الحقيقي في العيد هو فرح بالهداية ، فرح بالصلح مع الله ، فرح بالإنابة إليه ، فرح بالتوبة له ، فرح بالسعادة بقربه .

أيها الأخوة ، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي الصحيح :

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

بالمناسبة الله عز وجل يحارب آكل الربا بالقرآن الكريم ، وفي الحديث القدسي يحارب من عادى له ولياً ، حربان معلنتان من الله عز وجل على نموذجين ؛ الأول من أكل الربا أو أوكله ، بمعنى سبب تجمع الأموال بأيدٍ قليلة وحرم منها الكثرةِ الكثيرة فدمر الأمة ، ماذا يقابل الفروق الكبيرة بين الدخول ؟ الدعارة ، الاحتيال ، السرقة ، القتل ، دمار الأسر ، لذلك الله عز وجل أعلن الحرب على نموذجين على من تعامل بالربا وعلى من عادى له ولياً :

((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، الآن دققوا : وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطينه ، وإن استعاذ بي أعذته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

أكبر ثمن لمن يحب الله و رسوله أن يكون مستجاب الدعوة :



إذاً أنت حينما تقوم بالنوافل يحبك الله عز وجل ، فإذا أحبك الله عز وجل كان الله سمعك وبصرك ، وكل حركاتك وسكناتك وفق منهج الله ، لكن أكبر ثمن أن تكون مستجاب الدعوة ، لذلك عقب آيات الصيام :

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(185)وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(186)﴾

(سورة البقرة)

العيد مناسبة أولى لصلة الأرحام:



أهم موضوعات العيد صلة الأرحام ، لقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام في أوائل دعوته ، وفي مطلع نبوته إلى صلة الأرحام فقد أخرج الإمام مسلم بإسناده عن أبي أمامة قال : قال عمرو بن عبسة السلمي :

((كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة , وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً , فقعدت على راحلتي , فقدمت عليه , فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له : ما أنت ؟ قال : أنا نبي ، فقلت : و ما نبي ؟ قال : أرسلني الله ، فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيئاً .))

[مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي]

أول كلمة قالها النبي عليه الصلاة والسلام أرسلني بصلة الأرحام .

ونحن في العيد والعيد مناسبة أولى لصلة الأرحام ، النبي عليه الصلاة والسلام كما قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه :

((أوصاني خليلي بصلة الرحم وإن أدبرت))

[رواه الطبراني عن أبو ذر]

لذلك قالوا صلة الأرحام أمارة أي دليل على الإيمان ، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

ربط هذه الصلة بالإيمان :

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

ثواب صلة الرحم معجل في الدنيا ونعيم في الآخرة :

هذه الصلة عبادة جليلة ، هناك عبادات شعائرية كالصلاة والصوم والحج والزكاة ، وهناك عبادات تعاملية ، هذه الصلة عبادة جليلة من أخصّ العبادات ، يقول بعض العلماء : ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجراً من خطوة إلى ذي رحم ، ثواب هذه الصلة معجل في الدنيا ونعيم في الآخرة .

لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم))

[البيهقي عن أبي هريرة]

والقائم بهذه الصلة موعود بالجنة ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في إحدى خطبه :

((أهل الجنة ثلاث : ذو سلطان مقسط . متصدق ، موفق . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال))

[مسلم عن عياض بن خمار]

والله عز وجل قال :

﴿ فَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ (38)﴾

(سورة الروم)

له حق عليك ، آتِ فعل أمر :

﴿ فَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ (38)﴾

(سورة الروم)

قدم الله القرابة على المساكين وأبناء السبيل ، قال تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ (215)﴾

(سورة البقرة)

لا تقبل زكاة مسلم وفي أقربائه محاويج ، الآخرون أنت لهم وغيرك لهم أما أقرباؤك من لهم غيرك ؟

الأقربون من ذوي المسكنة هم أول من يعطوا الصدقة :

أيها الأخوة الكرام ، لذلك أول من يعطى الصدقة هم الأقربون من ذوي المسكنة :

((كان أبو طلحة أكثر أنصاريّ بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان النبي عليه الصلاة والسلام يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله إن الله تعالى يقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا ما تحبون وإن أحب أموالي إلي بئر حاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال بخ بخ ذاك مال رابح))

[روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أنس بن مالك]

هذا هو الربح الحقيقي الذي تدخره ، الربح الحقيقي الذي تنفقه ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟ قَالَتْ : مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا ، : قَالَ بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا))

[الترمذي وأحمد]

سيدنا عمر أمسك تفاحة قال : أكلتها ذهبت أطعمتها بقيت ، فقال بخ ذلك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها ،

الآن دققوا وأرى أن تجعلها في الأقربين ، أحب أمواله إليه قدمها إلى رسول الله قال : أرى أن تجعلها في الأقربين، قال أفعل ذلك يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنو عمه .

كلمة الأرحام تعني :

1 . أخوك في الله من أرحامك ولو لم يكن قريباً لك :



ماذا تعني كلمة أرحام ؟ قال : أولاً رحم الدين أخوك في الله من أرحامك هذا معنى جديد ، أخوك في الله ، المؤمن ولو لم يكن قريباً لك ، لو كان من بلد آخر ، لو كان من جنسية أخرى ، لو كان يتكلم لغة أخرى هو من أرحامك ، رحم الدين تشمل جميع المسلمين لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)﴾

(سورة الحجرات : 10)

فأثبت الله الأخوة الإيمانية لجميع المسلمين :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22)﴾

(سورة محمد)

2 ـ رحم القرابة البعيدة والقريبة من جهة الأبوين :

الرحم الثانية رحم القرابة البعيدة والقريبة من جهة الأبوين ، أوسع تعريف ، الأقرباء الأباعد والأقرباء الأقارب من جهة الأب ومن جهة الأم .

لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا))

[متفق عليه عَنْ عَائِشَةَ]

وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار .

((إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

بنود صلة الرحم مع الأقارب :



أيها الأخوة ، ماذا تعني صلة الرحم ؟ هناك من يتفضل على قريبه الفقير بأن يطل عليه في العام مرة في العيد ويتمنى ألا يجده في البيت ، يضع له بطاقة ، وانتهى الأمر ، هذا أسوأ معنى لصلة الرحم ، أولاً يجب صلة الرحم بملازمة المؤمنين ، ما دام من معاني صلة الرحم أن أهل الإيمان رحم ، ملازمة المؤمنين ، ومحبة ا لمؤمنين ، ونصرة المؤمنين ، والنصيحة للمؤمنين ، وترك أذية المؤمنين ، والعدل بين المؤمنين ، والإنصاف في معاملتهم ، و القيام بحقوقهم الواجبة ، كتمريض المريض ، ومواساة فقرائهم ، ونصرة مظلوميهم ، وحقوق موتاهم من غسلهم ، والصلاة عليهم ، ودفنهم ، هذه كلها حقوق تدخل في صلة الأرحام.



المؤمن من أرحامك ، أما الرحم الخاصة تكون الصلة بزيارتهم ، وتفقد أحوالهم ، والسؤال عنهم ، والإهداء إليهم ،والتصدق على فقيرهم ، والتلطف مع وجيههم وغنيهم ، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم ، وتكون باستضافتهم ، وحسن استقبالهم ، وإعزازهم ، ومشاركتهم في أفراحهم ، ومواساتهم في أتراحهم.

هذه بنود صلة الرحم مع الأقارب ، وتكون الصلة أيضاً بالدعاء للأرحام ، وسلامة الصدر لهم ، والحرص على نصحهم ، ودعوتهم للخير ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإصلاح ذات البين إذا فسدت ، هذا كله من صلة الرحم .

وتكون ببشاشةٍ عند اللّقاء ، ولينٍ في المُعاملة ، إلى طيبٍ في القول ، وطلاقةٍ في الوجه ، وزيارات وصِلات، وإحسان إلى المحتاج ، وبذل للمعروف ، ونصحُهم ، والنّصحُ لهم ، ومساندة مكروبِهم ، وعيادة مريضهم ، الصفح عن عثراتهم ، وترك مُضرتهم ، والمعنى الجامِع لذلك كلّه : إيصالُ ما أمكَن من الخير ، ودفعُ ما أمكنَ منَ الشرّ.

من أجل العبادات بعد أداء الفرائض هذه الصلة ، هذه تمتن العلاقات ، تجمع المجتمع وحدة متماسكة ، بل إن الضمان الاجتماعي جعله الله على أساس القرابة.

على المؤمن أن يتفقد أحوال أقاربه و يساعدهم بألطف أسلوب :

طبعاً الأقارب يختلفون في أحوالهم ، وطباعهم ، ومنازلهم ، فمنهم من يرضى بالقليل ، فتكفيه الزيارة السنوية ، والمكالمة الهاتفية ، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه ، والصلة بالقول ، ومنهم من يعفو عن حقه كاملاً ، ويلتمس المعاذير لأرحامه ، منهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة ، وبالاهتمام الدائم ، فمعاملتهم بهذا المقتضى تعين على حسن الصلة بهم ، كل قريب له طبع ، بشكل مختصر تبدأ صلة الرحم بنوع من الاتصال ، الاتصال الهاتفي نوع من الصلة ، أو البريدي ، أو كتابة رسالة ، الآن في رسالة على الهاتف . ثم الزيارة ، ثم تفقد الأحوال المعيشية ، الآن هناك قوي وضعيف ، قريب قوي وقريب ضعيف ، قريب غني وقريب فقير ، الأقوى والأغنى مهمته بعد الزيارة تفقد الأحوال المعيشية والاجتماعية ، ثم المساعدة بألطف أسلوب ، والله أخ حدثني من هذا المسجد سمع بعض الخطب عن الأرحام والصلة ، له قريب لا يعرفه سأل عن بيته وزاره ، هذا القريب شهم طبعاً وضع له بطاقة لم يلتقِ به ، اتصل به ، سأله عن بيته فزاره ، القريب ميسور الزائر كان فقيراً ساكناً في بيت تحت الأرض شمالي وعنده خمسة أولاد ، هذا بيتك ؟ ابحث عن بيت ، أمن له بيتاً

خلال شهر رابع طابق ، والله أقسم بالله هذا الأخ أنه عندما زار قريبه تنفيذاً لوصية رسول الله فقط ، القريب شهم لما زاره في بيته قال هذا البيت لا يصلح لأولادك ، بحث عن بيت خلال شهرين وأمن له ثمنه .

الهدف الكبير من صلة الرحم تفقد أحوال الأقارب المادية والمعيشية والدينية والتربوية :

تفقد الأحوال المعيشية والاجتماعية ، ثم المساعدة بألطف أسلوب ، ثم الأخذ بيد القريب ، وأهله إلى الله ، وحملهم على طاعته ، والتقرب إليه ، وهذا تاجٌ تتوّج به هذه الصلة ، وعندئذ تكون هذه الصلة حققت هدفها الأكبر . أن تتفقد أحوالهم المعيشية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والعلمية ، ابنهم يحتاج إلى قسط جامعة ، ابنهم ذكي ومتفوق ، ثم تنفذ هذه الحاجات ، ثم الأخذ بيد القريب إلى الله ، والله أعرف أخاً طرق باب أخته سمع شجاراً بينها وبين زوجها على مبلغ من المال طلبته منه من أجل كسوة بناته ، الزوج دخله محدود رفض رفع صوته عليها ، رفعت صوتها عليه ، فلما دخل سأل ما القضية ؟ قضية ثلاثمئة ليرة في الشهر القصة قديمة منذ عشرين سنة قال هذه مني يا أختي ، أرسل لها كل شهر ثلاثمئة ليرة تغطية نفقات البنات ، قال بعد ستة أشهر طلبت مني درساً أسبوعياً ، قال لي أنا ليس داعية حضرت حالي ، آية قرآنية ، وحديث ، وقصة ، وحكم فقهي ، جمعت بناتها ، بنات أخواتها ، يعني ممن يجوز أن يجلس معهم ، قال لي أول بنت تحجبت ، الثانية تحجبت ، الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، وتزوجوا جميعاً ، هذه صلة الرحم يجب أن تزور قريبك ، تتفقد أحواله ، تعاونه مالياً، تربوياً ، دينياً ، علمياً .

ثمار صلة الرحم :

لذلك اسمعوا هذا القول أول آية بأول سورة بأول شيء في القرآن : قَالَ جبريل للنبي * :

((﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي ، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلَّا ، لم يأت بعد القرآن لم يقل الحديث الشريف ، أول عهدها برسول الله ، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))

[رواه البخاري ومسلم عن عائشة]

هذه الفطرة إنسان يصل رحمه ، يطعم الجائع ، يطعم الضعيف ، يعين القريب ، هذا الإنسان لا يخزيه الله أبداً ،

الله عز وجل وعد أنه من وصل رحمه يصله ومن قطع رحمه يقطعه .

((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ ، يعني أيتها الرحم ، أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

صلة الرحم بسط في الرزق وبركة في العمر

وهناك حديث آخر :

((الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ))

[مسلم عَنْ عَائِشَةَ]

صلةِ الرّحم ؛ محبّةٌ للأهل ، وبَسطُ الرّزق ، وبركةُ العُمر ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ))

[رواه أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

تطيل العمر بمعنى إطالة مضمون يزداد هذا العمر غنىً بالعمل الصالح ، وفي حديث :

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

الصلة مدعاة لرفع الواصل وسبب للذكر الجميل :

أيها الأخوة ، صلةُ الرّحم علامة على كَرَم النّفس ، وسَعَةِ الأفُق ، وطيبِ المنبَتِ ، وحُسن الوَفاء ، ولهذا قيل : مَن لم يَصْلُحْ لأهلِه لم يَصْلُحْ لك ، إياك أن تشارك إنساناً عاقاً لوالديه ، لو كان فيه خير لكان الخير لوالديه ، إياك أن تشارك من كان قاطعاً للرحم ، مَن لم يَصْلُحْ لأهلِه لم يَصْلُحْ لك ، ومَن لم يذُبَّ عنهم لم يذبَّ عنك ، يُقْدِم عليها أولو التّذكرةِ وأصحابِ البصيرة .

الآن هذه الصلة مدعاة لرفع الواصل ، وسبب للذكر الجميل ، وموجبة لشيوع المحبة ، صلة الرحم تقوِي المودَّة ، وتزيدُ المحبّة ، توثّق عُرى القرابةِ ، وتزول العداوةُ والشّحناء ، فيها التعارفُ والتواصلُ والشعور بالسّعادة

رسول الله عليه الصلاة و السلام أوصل الناس بأرحامه :

أيها الأخوة ، بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً ، ضرب به المثل على مرِّ التاريخ ، ما سمعت الدنيا بأوصل منه ﷺ ، قام على قرابته ، أبناء عمه وأقاربه ، أخرجوه من مكة ، وطاردوه ، وشتموه ، وآذوه ، حاربوه في المعارك ، ونازلوه في الميدان ، قاموا بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية ضده ، فلما انتصر : دخل مكة منتصراً ، ووقفت له الأعلام مكبرة .

عشرة آلاف سيف متوهجة تنتظر أمراً منه وشأن الفاتحين أن يبيدوا أعداءهم فقال ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء ، هذا أروع مثل يضربه إنسان لعشرين عاماً عانى ما عانى من قريش ، حروب وقتل وسفك دماء وتعذيب وإهانة فلما ملكهم وانتصر عليهم عفا عنهم .

النبي عليه الصلاة والسلام له ابن عم اسمه أبو سفيان بن الحارث ، فيسمع بالانتصار ، وقد آذى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وشتمه ، وقاتله ، فيأخذ هذا الرجل أطفاله ، ويخرج من مكة ، فيلقاه علي بن أبي طالب ، يقول : يا أبا سفيان ! إلى أين تذهب ؟ قال : أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعاً وعرياً ! والله إن ظفر بي محمد ليقطعني بالسيف إرباً إرباً ! فيقول علي . وهو يعرف رسول الله ﷺ . أخطأت يا أبا سفيان ! إن الرسول ﷺ أوصل الناس ، وأبر الناس ، وأكرم الناس ، فعد إليه ، وسلم عليه بالنبوة ، وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف:

﴿ تَا للَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

هو موقن بالقتل يأتي بأطفاله ، ويقف على رأس المصطفى ﷺ ، ويقول : يا رسول الله! السلام عليك ورحمة الله

وبركاته :

﴿ تَا للَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

فيبكي عليه الصلاة والسلام ، وينسى تلك الأيام ، وتلك الأعمال ، وتلك الصحف السوداء ، ويقول :

﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

أبو سفيان بن حرب ماذا يقول عن النبي عليه الصلاة والسلام ؟ يقول : يا بن أخي ، ما أوصلك ؟ ما أرحمك ؟ ما أحكمك ؟ ما أعقلك ؟

العيد أفضل مناسبة لتفقد الأقارب وزيارتهم ومساعدتهم وإكرامهم :

أيها الأخوة ، الموضوع طويل لكن أعتقد العيد أفضل مناسبة لتفقد الأقارب ، وزيارتهم ، ومساعدتهم ، وإكرامهم ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء]

هذا الضعيف هلا أطعمته إن كان جائعاً ، كسوته إن كان عارياً ، علمته إن كان جاهلاً ، آويته إن كان مشرداً ، زوجته إن كان أعزباً ، أنصفته إن كان مظلوماً ، إذا فعلت هذا مع الضعيف تنتصر به على أعدائك :

((إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم))

فكيف إذا كان هذا الضعيف قريباً من أقربائك ، والله هناك دعاوى بقصر العدل من أم لا تجد ما تأكل على ابنها الغني كي يطعمها .

الرسول الكريم المعلم الأول في تعليم الناس معنى صلة الأرحام :

أيها الأخوة الكرام ، الآن قصة أخرى تأتيه أخته من الرضاعة ، وقد ابتعدت عنه عقوداً عديدة ، فتأتيه وهو لا يعرفها ، وهي لا تعرفه أيضاً ، رضعت من حليمة السعدية معه فلما جاءته الرسالة ، وصار بأعلى مقام سمعت به ، والله رضع معي فأنا أخته ، وتسمع وهي في بادية بني سعد في الطائف بانتصاره ، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاع ، وهو تحت سدرة عليه الصلاة والسلام ، والناس بسيوفهم بين يديه ، وهو يوزع الغنائم بين العرب ، فتستأذن ، فيقول لها الصحابة : من أنت ؟ فتقول : أنا أخت رسول الله ﷺ ، هم استغربوا ، أنا الشيماء بنت الحارث أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية ، فيخبرون الرسول عليه الصلاة والسلام يتذكر القربى وصلة الرحم ، ويقوم لها ، ترك أصحابه وقام ليستقبلها ، ليلقاها في الطريق ، ويرحب بها ترحيب الأخ لأخته بعد طول غياب ، وبعد الوحشة والغربة ، ويأتي بها ويجلسها مكانه ، ويظللها من الشمس .

تصوروا أيها الأخوة ، رسول البشرية ، ومعلم الإنسانية ، ومزعزع كيان الوثنية ، يظلل عجوزاً هي أخته من الرضاع من الشمس ، يترك الناس وشؤون الناس ، ويقبل عليها ويسألها ، ويقول لها : يا أختاه كيف حالكم ؟ يا أختاه أتختارين الحياة عندي ، أو تريدين أهلك ؟ فتقول : أريد أهلي ، فيمتعها بالمال ويعطيها مئة ناقة ، ليُعلمِّ الناس معنى صلة الأرحام .

يا سيدي ، يا رسول الله ، يا من كانت الرحمة مهجتك ، والعدل شريعتك ، والحب فطرتك ، والسمو حرفتك ، ومشكلات الناس عبادتك ، يا سيدي يا رسول الله ، يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ ، يا من قدست الوجود كله ، ورعيت قضية الإنسان ، يا من زكيت سيادة العقل ، و نهنهت غريزة القطيع ، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت واحداً بين الجميع .

أيها الأخوة الكرام ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى صحابته الغر الميامين ، و على آل بيته الطيبين الطاهرين .

أسباب قطيعة الرحم عديدة منها :

أيها الأخوة ، أسباب قطيعة الرحم .

1 . الجهل بعواقب القطيعة والجهل بفضائل الصلة :

أولاً : الجهل بعواقب القطيعة ، والجهل بفضائل الصلة ، الإنسان عدو ما يجهل ، إن معرفة ثمرات الأشياء وعواقبها أكبر باعث على صلة الرحم .

2 . ضعف التقوى :

ثانياً : ضعف التقوى ، بعض الناس صار غنياً وصار بمنصب رفيع يخجل من أهله ، مرة رجل منعم عنده والده متقدم في السن قال لهم يعمل عندنا ، استحى بأبيه .

3 . الانقطاع الطويل عن الزيارة :

ثالثاً : الانقطاع الطويل عن الزيارة يؤدي إلى الوحشة ، هذا سبب .

4 . العتاب الشديد :

رابعاً: العتاب الشديد ، إذا زاره أحد من أقاربه يعاتبهم عتاباً لا يحتمل ، يكرهونه لذلك تحمل عتابهم ، وحمله على أحسن المحامل ، من أسباب صلة الرحم .

5 . التكلف الزائد :



خامساً : التكلف الزائد ، عندما تقيم وليمة فوق طاقتك تكره زيارة الرحم ، لا ، قَدِّم الذي عندك ، أمرنا أن نجود بالموجود ، تكلف نفسك فوق طاقتك تكره الزيارة ، يكلف نفسه كثيراً تخاف أن يأي لعندك لا تتحمل تضيفه .

أيها الأخوة ، تجد من إذا زاره أقاربه لم يهتم بهم ، بثياب متبذلة كيف صحتك ؟ كم تأخذ معاشاً في الشهر ؟ يسأله بترفع ، لا يزوره طبعاً ، إذا ما احترمته ، ووقفت له ، ورحبت به ، واحترمته ، نور البيت أهلاً وسهلاً ، ففي الزيارة جفاء .

6 . الغني البخيل يكره الرحم عبئاً عليه :

سادساً : الغني البخيل يكره الرحم عبئاً عليه .

أيها الأخوة الكرام هناك أسباب كثيرة جداً ، تأخير قسمة الميراث ، تؤدي إلى قطيعة الرحم ، لا يقسموا ، هناك بنات لهم أزواج بحاجة إلى المال الأخوة الذكور المال بيدهم يؤخرون القسمة تجد بعد فترة صار في عداء بين الأخوات والأخوة من تأخير الميراث .

7 . الشراكة بين الأقارب :

سابعاً : الشراكة بين الأقارب ، تعمل مشكلة بين الأقارب كبيرة جداً ، هذه أغلب الظن توقع بمشكلات كبيرة .

على كل هذه عبادة من أجل العبادات مناسبتها بالأعياد والاستمرار بعد الأعياد .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ، ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك و نتوب إليك ، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي

لصالحها إلا أنت ، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين ، انصر المسلمين في كل مكان ، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين ، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس {03-14}

خطبة عيد الفطر السعيد لعام 1428هـ - 2007م : خ1- معاني الله أكبر (إصلاح ذات البين) ، خ2 - الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2007-10-13

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أيها الإخوة الكرام ، نحن في عيد الفطر ، وعيد الفطر وتكبيراته وردت في القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىوَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍفَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَوَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(سورة البقرة)

حقائق مهمة :

الحقيقة الأولى : من لم يغلب على ظنه أن الله غفر له بعد رمضان ففي صومه خلل :

أيها الإخوة الكرام ، ورد أنه من وقف في عرفات ، ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حج له ، يقاس على هذه المقولة أنه من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، وقام رمضان إيماناً واحتساباً ، ولم يغلب على ظنه أن الله أعتقه من النار ، وأن الله غفر له كل ما كان منه فيما بينه وبين الله ففي الصيام خلل ، هذه الحقيقة الأولى .

الحقيقة الثانية : التكبير بين الحقيقة ومجرد التلفظ :

الحقيقة الثانية أيها الإخوة ، أننا في العيد نكبر ، وكذلك في عيد الأضحى ، ولكن هذه الكلمات العظيمة في الإسلام كأن في آخر الزمان فرغت من مضمونها .

ما معنى : الله أكبر ؟

معنى التكبير وحقيقته :

أولاً أيها الإخوة ، هناك لسان المقال ، وهناك لسان الحال ، ويكون بين اللسانين بونٌ شاسع .

المعنى الأول :

معنى : الله أكبر ، أي : أن الله سبحانه وتعالى لا يعرفه أحد إلا هو ، لا يعرف الله إلا الله ، فمهما عرفت عن الله ، مهما تبحرت في العلم بالله ، مهما درست أسماء الله الحسنى ، مهما سعيت فلن تعرف الله المعرفة التي يستحقها ، لأنه لا يعرف الله إلا الله ، بل إن الأنبياء جميعاً ما عرفوا الله المعرفة التي ينبغي ، بل إن سيد الأنبياء والمرسلين ، بل إن سيدنا محمد عليه أتم الصلاة والتسليم الذي بلغ سدرة المنتهى ، أعلى مخلوق عرف الله، لكن المعرفة الحقيقة ليست لأحد من البشر ، هذا معنى الله أكبر ، فإذا قلت : الله أكبر ، أي : الله أكبر مما عرفت ، مهما عرفته ، مهما أقبلت عليه ، مهما تبحرت في العلم فلن تصل إلى المعرفة التي يستحقها الله عز وجل ، هذا المعنى الأول .

المعنى الثاني :

الحقيقة المُرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح :

ولكن أيها الإخوة ، المعنى الثاني هو الخطير ، الإنسان يقول : الله أكبر ، في العيدين ، ولن أحابيكم ، وسأقول الكلام الذي هو الحقيقة المُرّة :

الذي يغش المسلمين ، ويؤذيهم في صحتهم ، أو يبتز أموالهم ، أو يأخذ منهم ما لا يستحق عن طريق الغش ، الذي يغش المسلمين ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، لماذا ؟ لأنه رأى من دون أن

يشعر أن هذا المبلغ الذي أخذه ظلماً وعدواناً على حساب صحة المسلمين أكبر عنده من الله ، إذاً : هو حينما يقولها كاذب .

الذي يطيع مخلوقاً كائناً من كان ، ويعصي خالقاً ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة .

الذي يلقي الرعب في قلوب الناس بابتزاز أموالهم ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة .

الذي يأخذ ما ليس له ، وهو يعلم ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة .

أيها الإخوة الكرام ، دعونا من لسان المقال ، ففي العالم الإسلامي في المليار وخمسمئة مليون مسلم لا تجد أحدا ينكر ما علم من الدين بالضرورة ، ولكن أفعال المسلمين لا تنبئ بذلك ، فالذي يرضي زوجته في معصية في خروجها بثياب فاضحة ، ويأتي المسجدَ ، ويقول : الله أكبر ، ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، لأنه رأى بعقله الباطن أن إرضاء زوجته أكبر عنده من إرضاء الله عز وجل .

سامحوني ، الحقيقة المُرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، لأن الله تخلى عنا ، وصل المسلمون إلى القاع ، وصلوا إلى حد لا يأبه لهم ، تسمع في الأخبار كل يوم خبر مئة قتيل ، أو مئتي قتيل ، صار الخبر عاديا جداً ، إنسان يؤسَر من الأقوياء تقوم الدنيا ولا تقعد ، وخمسمئة قتيل كل يوم ، ولا أحد يتكلم ، ولا اعتراض ، ولا تنديد ، ولا استنكار ، شيء طبيعي ، هان أمر الله علينا فهنّا على الله ، كلمات الإسلام الكبرى فقدت مضمونها ، ومن ذلك : معنى الله أكبر .

والله أيها الإخوة الكرام ، الغش في البيع والشراء بشكل لا يوصف ، والذين يغشون يأتون إلى المساجد يوم العيد ، ويقولون : الله أكبر ، ووالله ما قالوها ولا مرة ، لأنهم رأوا أن هذا الربح من الغش أكبر عندهم من الله ، هذه الحقيقة ، هان أمر الله علينا فهنّا على الله ، فإلى متى نردد هذه الكلمات ؟ لا إله إلا الله ، كلمة التوحيد فرغت من مضمونها .

هل ترى أن الله بيده كل شيء ؟

هل ترى أن رزقك بيد الله لا عن طريق الكذب والغش والخداع والتدليس ؟

هل ترى أن الفعال هو الله ، فلا تنافق ، هل ترى أن الأمر كله بيد الله ، فلا تعلق الأمل بغير الله ؟

هذا معنى الله أكبر ، الله أكبر من كل شيء ، هل ترى رزقك بيد الله وحده ، فلا تفعل شيئاً يفعله معظم الناس .

مسلمون كثيرون وكلاء شركات ، يأتي وكيل الشركة ، يأتي مندوب الشركة فيأخذونه إلى مطعم ، ويطلب الخمر، فيقدموه له ، وفي يوم العيد يأتون إلى المسجد ، ويقولون : الله أكبر ، والله ما قالها ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة.

الذي يحرم البنات من الإرث ، وهو شرع الله عز وجل والله ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة .

((إن الرجل ليعبد الله ستين عاماً ، ثم يضر في الوصية فتجب له النار))

[ورد في الأثر]

أين نحن ؟ نعيش ظلما لا يعلمه إلا الله في الأُسر ، ظلما الأزواج ، ظلما الأولاد ، حرمان البنات ، ظلم الشركاء، كلمة الله أكبر تنهد لها الجبال ، قال تعالى :

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ ﴾

(سورة الحشر)

تقول : الله أكبر ، ترى أن هذا الكسب الحرام أكبر من الله ، ترى أن هذا الموقف المنافق هو المناسب ، وهو الحكمة ، وهو الذي يسلمك ، ومن أعان ظالماً سلطه الله عليه ، لا ترى أن الله معك ، قال تعالى :

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾

(سورة طه)

فرعون وما أدراكم ما فرعون ، وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك من معك ؟

وفي الأثر : " ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته ، فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا ، و ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه ، وقطعت أسباب السماء بين يديه " .

أين التوحيد ، أين رؤيتك أنه لا إله إلا الله ، ولا معطي ، ولا مانع ، ولا معز ، ولا مذل ، ولا رافع ، ولا خافض ، ولا ضار ، ولا نافع إلا الله .

أيها الإخوة الكرام ، ألم يخطر في بال أحدكم ما الأسباب التي دعت إلى أن نكون في الحضيض ؟ هناك خلل خطير في عقيدتنا وفي سلوكنا وفي عاداتنا وتقاليدنا ، كيف يكون رمضان شهراً اجتماعياً شهر الولائم شهر الشاشة فقط ، أين العبادات أين الصلح مع الله أين التوبة النصوح أين القرآن الكريم ؟ كان عليه الصلاة والسلام قرآناً يمشي ، السيدة عائشة سئلت عن خلقه قالت كان خلقه القرآن .

أين هذا المسلم المتمسك الملتزم الوقاف عند حدود الله الذي لا تأخذه في الله لومة لائم .

أيها الإخوة الكرام ، دققوا فيما سأقول أعيدها للمرة الأخيرة ، من قال : الله أكبر ، ورأى أن شيئاً أكبر عنده من الله، مادة ، أو مالاً ، أو إرضاء إنسان ، أو موقفاً سليماً ، لا يرضي الله ، موقف ، أو مال ، أو إنسان ، إن رأيت إرضاءه أكبر من الله فما قلتها ولا مرة ، ولو رددتها بلسانك ألف مرة ، هذه النقطة الأولى .

النقطة الثانية ، الله عز وجل يقول :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

(سورة الأنفال)

أيام العيد مناسبة لإصلاح ذات البين :

وأيام العيد أيام إصلاح ذات البين ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إياكم وفساد ذات البين ، إنها الحالقة ، لا أقول : حالقة الشعر ، ولكن : أقول حالقة الدين))

[الترمذي]

مستويات إصلاح ذات البين :

عيد الفطر السعيد مناسبة أساسية لإصلاح ذات البين ، وإصلاح ذات البين تفهم على مستويات ثلاثة :

أصلح ما بينك وبين الله بالتوبة النصوح ، وبالطاعة التامة ، وبالتقرب إليه بنوافل العبادات وصالح الأعمال ,

وأصلح ما بينك وبين الآخرين بالمسامحة ، أو الاعتذار ، أو أداء ما قصرت في أداءه ,

ثم أصلح بين كل مؤمنين ، هذا معنى قول الله عز وجل :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

(سورة الأنفال)

وعيد الفطر السعيد مناسبة كبرى لإصلاح ذات البين ،

((إياكم وفساد ذات البين ، إنها الحالقة ، لا أقول : حالقة الشعر ، ولكن أقول : حالقة الدين))

[الترمذي]

أيام العيد مناسبة لصلة الرحم :

شيء آخر ، العيد مناسبة لصلة الأرحام ، وقد أكدت الأحاديث الشريفة الكثيرة أن صلة الرحم تزيد في الرزق ، وتطيل العمر ، تنسأ في الأجل ، بمعنى أن الله عز وجل حينما أمر النبي عليه الصلاة والسلام فقال :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

(سورة الشعراء)

ليس بينك وبين القريب حاجز ، فاستغل هذه الثقة ، وخذ بيده إلى الله .

هذا ما يجري في زيارات الأقارب في زماننا هذا :

كيف أصبحت صلة الأرحام في يومنا هذا ؟ زيارة لا تزيد على كلمات مجاملة ، ولا يهتم الزائر بأحوال قريبه المعاشية والصحية ، والتربوية والدينية ، يطل عليه إطلالة يتباهى بإنفاقه ، وبحجمه المالي ، وبأسفاره ، والحديث كما تعلمون لا يقدم ولا يؤخر ، ولا تنسوا أنه :

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً))

[أبو داود عن أبي هريرة]

إنه حديث الدنيا ، حديث الأسعار ، حديث ما يجري في العالم ، حديث يملأ النفس غماً وهماً ، ويأساً وإحباطاً ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

الأيام الثلاثة من العيد في الأعم الأغلب يمضيها المسلم في زيارة أقاربه ، فدقِّق في الحديث الذي ينبغي أن تقوله، ما الحديث ؟ عرفهم بالله ، ذكرهم بآيات الله ، ذكرهم بآية كونية ، ذكّرهم بآية كونية ، ذكّرهم بآية تكوينية ، ذكّرهم بآية قرآنية ، ذكّرهم بكمال النبي عليه الصلاة والسلام ، ذكّرهم بسنته المطهرة ، ذكّرهم بالعلماء العاملين الربانيين ، ذكّرهم بهذا المجد العظيم ، ذكّرهم بهذا الدين القويم ، ذكّرهم بالصراط المستقيم ، ذكّرهم بالآخرة ، ثلاثة أيام تقتطع من حياتك في زيارات متكررة ، الحديث عن ماذا ؟ عن أشياء مألوفة يعرفها الجميع ، تنقل لهم خبراً أذاعته كل الإخباريات ، كلهم سمعوا هذا الخبر ، ماذا أفدتَ من هذا الكلام ؟

مناسبة العيد مناسبة في الدعوة إلى الله ، لذلك أيها الإخوة الكرام ، صلة الأرحام تعني أن تتصل بهم ، وأن تزوره، والعبرة أن تلتقي به ، لا أن تضع له بطاقة ، وانتهى الأمر ، وتقول : سقط الوجوب ، وإن لم يحصل المطلوب ، العبرة أن تلتقي به ، والأولى أن مجموعة الأقرباء الذين يعيشون مع بعضهم طوال العام أن يجتمعوا في منزل واحد اجتماعاً مطولاً ، بدل تراشق الزيارات ، أما الذين لا تراهم في العام إلا مرة هؤلاء فتخصص لهم أطول وقت في العيد لزيارتهم، ولتفقد شؤونهم ، فالغني يأخذ بيد الفقير ، والقوي يأخذ بيد الضعيف ، والعالم يأخذ بيد أقلّهم علماً .

حينما تصل الرحم فأنت مكلف بمهمة أن تتفقد شؤون هذه الأسرة ، أن ترعاها ، أن تأخذ بيد شبابها إلى الله عز وجل ، أنت في ثلاثة أيام في أعمال تعدّ قمة من الأعمال ، أنت تقوم بطاعة اسمها صلة الأرحام . أيها الإخوة الكرام ، حاول أن تكون هذه اللقاءات مثمرة ، حاول أن تكون هذه اللقاء ومضات مما سمعته في

رمضان ، من درس رمضان ، من صلاة التراويح ، من صلاة الفجر ، لا بد من أن يكون لسانك رطباً من ذكر الله .

((أمرني ربي بتسع : خشية الله في السر والعلانية ، كلمة العدل في الغضب والرضى ، القصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأن أعطي من حرمني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرة))

[رواه رزين عن أبي هريرة ، وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي]

أيها الإخوة الكرام ، الله أكبر ، الله أكبر ، كلمة كبيرة (أكبر)أي أكبر من أي شيء ، أكبر مما عرفت ، وأكبر من أي شيء ، وحينما قالها الصحابة الكرام كما أرادها الله عز وجل وصلت فتوحاتهم إلى الصين شرقاً ، وإلى مشارف باريس غرباً ، أما حينما فرغت من مضمونها خمسة دول إسلامية محتلة الآن ، والقتل فيها على قدم وساق ، ولا شأن للإنسان المسلم إطلاقاً .

أيها الإخوة الكرام ، لو فهم الصحابة الإسلام كما نفهمه نحن ما خرج من مكة المكرمة ، أما أن يصل إلى أطراف الدنيا فبفهم عميق ، والتزام دقيق ، وطاعة تامة ، وتضحية وإيثار .

العيد مناسبة لحل المشكلات وفضّ الخلافات :

أيها الإخوة الكرام ، البند الثاني :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[سورة الأنفال]

ينبغي أن تحل المشكلات في العيد ، ينبغي أن تصل من قطعك ، وأن تعفو عمن ظلمك ، وأن تعطي من حرمك .

والشيء الثالث : أن تصل الأرحام ، وهذه الصلة تعني أن تتفقدهم ، وأن تمد لهم يد العون ، فالغني يأخذ بيد الفقير ، والقوي يأخذ بيد الضعيف ، والمتعلم يأخذ بيد الأقل علم .

أيها الأخوة الكرام ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

* * *

الخطبة الثانية:

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

الدعوة إلى الله فرض عين :

أيها الإخوة الكرام ، أؤكد كثيراً في خطبي ، وفي دروسي أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ، أنا أسألك : لماذا تصلي ؟ تجيبني قطعاً : لأن الصلاة فرض عين ، وأنا أؤكد لك أن الدعوة إلى الله فرض عين كالصلاة ، لكن طالبني بالدليل ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

(سورة يوسف)

يعني بالدليل والتعليل ، وقد قال الله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

(سورة آل عمران)

فالذي لا يدعو إلى الله على بصيرة ليس متبعاً لرسول الله ، وبالتالي ليس محباً لله .

الدعوة إلى الله لا تعني التبحّر في العلم :

الدعوة إلى الله فرض عين ، لكن إذا قلت : فرض عين ، فلا يعني أن تمضي وقتك في التبحر في العلم ،

التبحر في العلم ، والتعمق ، والتفرغ هذه فرض كفاية ، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، لقوله تعالى :

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

(سورة آل عمران)

فرض العين في حدود ما تعلم ، الذي سمعته في الخطبة ، الذي سمعته في درس ، الذي سمعته في ندوة ، وتأثرت به ، اكتب رؤوس أقلام عنه ، واجعل الأسبوع القادم مجالاً زمنياً في كل لقاءاتك لنقل هذه الحقائق ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ...))

[البخاري]

هذه الدعوة إلى الله التي هي فرض عين في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف :

((حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ الْعَوَامَّ))

[أبو داود ، ابن ماجه ، الترمذي عن أبي ثعلبة الخشني]

هنا هذا المجال يعني أقرباءك ، أصدقائك ، جيرانك ، زملائك ، هذا معنى :

((فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ الْعَوَامَّ))

خاتمة :

لذلك أيها الإخوة الكرام ، العيد مناسبة لإزالة سوء التفاهم بين الأقرباء لإصلاح البين ، والعيد مناسبة لصلة الأرحام بالمعنى الدقيق ، أن تأخذ بيدهم إلى الله ،

وأن تمد لهم يد المساعدة ، والعيد مناسبة للدعوة إلى الله .

أذكركم مرة ثانية ،

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً))

[أبو داود عن أبي هريرة]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ، ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك و نتوب إليك ، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام ، وأعز المسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، خذ بيد ولاة المسلمين لما تحب وترضى يا رب العالمين ، إنك على ما تشاء قدير ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، لا تأخذنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام ، وأعز المسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، دمر أعداءك أعداء الدين اجعل تدميرهم في تدبيرهم ، اجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين ، انصر عبادك المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها ، وفي شمالها وجنوبها ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس {04-14}

خطبة عيد الأضحى المبارك لعام 1427هـ - 2006م : وسطية الإسلام بحضور السيد رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2006-12-30

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . . الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً ، الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله أصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يارب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

الإنسانيّة في الإسلام :

أيها الأخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام ؛ هناك موضوع تقتضيه المناسبة الدينية، وموضوعات تقتضيها الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية ، ولنبحث في الموضوع الثاني .

أيها الأخوة ؛ الإسلام وسطي لا يعرف التطرف ، فالإسلام وسط بين المادية المقيتة والروحية الحالمة ، بين الواقعية المرة والمثالية التخيلية ، بين الفردية الطاغية والجماعية الساحقة ، بين الثبات الرتيب والتغير المضطرب، بين الحاجات الملحة والقيم البعيدة ، بين العقلانية الباردة والعاطفية المتقدة ، بين نوازع الجسد ومتطلبات الروح .

والإسلام إنساني لا يعرف العنصرية . . . فالإنسانية إحدى خصائص الإسلام الكبرى ، إنها تشغل حيزاً كبيراً في منطلقاته النظرية ، وفي تطبيقاته العملية ، وقد ربطت بعقائده وشعائره ومناهجه وآدابه ربطاً محكماً ؛ فالإنسانية في الإسلام ليست مجرد أُمْنية شاعرية ، تهفو إليها بعضُ النفوس ، وليست فكرة مثاليةً تتخيَّلها بعضُ الرؤوس ،

وليست حِبراً على ورق سطّرتها بعضُ الأقلام ، كوثيقة حقوق الإنسان ، التي تنتهك كل زمان ومكان ، إنها ركنٌ عقدي ، وواقع تطبيقي ، وثمار يانعة .

سقوط الإنسان بتحوله عن عبادة ربه إلى عبادة شهواته :

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين ومشاهدين ؛ ولكن حينما يسقط الإنسان ، يتحول عن عبادة ربه إلى عبادة شهواته ، وتعتمد علاقته بالآخرين على القوة لا على الرحمة ، وعلى العنف لا على التفاهم ، وينصرف الإنسان عن العناية بالنفس وتزكيتها إلى العناية بالجسد وإمتاعه ، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة ، ويتحول المجتمع كله إلى غابة ، يحسّ كل واحد فيها أن من حقه افتراس الآخرين ، كما أنه من الممكن أن يكون فريسة وضحية لأي واحد منهم ! . هذا هو مجتمع الغاب ، أو النظام العالمي الجديد ، حينئذ تظهر العنصرية ، أناس أقوياء توهموا أنهم فوق البشر ، وأن لهم ما ليس لبقية البشر ، ويحق لهم ما لا يحق للبشر ، وأنهم مستثنون مما يجب على بقية البشر ، وأنهم بنوا مجدهم على أنقاض البشر ، بنوا قوتهم على إضعاف البشر ، بنوا عزهم على إذلال البشر ، بنوا غناهم على إفقار البشر ، بنوا أمنهم على إخافة البشر ، هؤلاء عنصريون ، يكيلون بألف مكيال ومكيال ، هؤلاء يتهمون المسلمين بما يروق لهم لإحكام السيطرة عليهم ، تمهيداً لنهب ثرواتهم .

الحاجة الملحة إلى الوحدة الوطنية :

أيتها الأخوات الفضليات ، أيها الأخوة الأفاضل ؛ الوحدة الوطنية التي تشتد الحاجة إليها في الظروف الصعبة والتي يخطط فيها الأعداء لتجزئتنا ، ولإفقارنا ، ولإضلالنا ، ولإفسادنا ، ولإذلالنا ، ثم لإبادتنا ، والوسيلة الفعالة عندهم ، والورقة الرابحة التي في أيديهم هي إثارة الفتن الطائفية في الأمة الواحدة ، وهذا مبدأ ثابت لكل الطغاة بدءاً من فرعون موسى حيث وصفه القرآن فقال : " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً " وانتهاء بفرعون العصر حيث قال وزير خارجيته : أنا لا يعجبني أن يكون العالم مئتي دولة بل أتمناه خمسة آلاف دولة،

ومشروع إثارة الفتن الطائفية تمهيد لتقسيم الأمة ، وإضعافها لإحكام السيطرة عليها ، ونهب ثرواتها يسميه المخططون لهذا المشروع : " الشرق الأوسط الجديد " ، ونحن بعودتنا إلى الله ، وباستقامتنا على أمره ، وبوعينا ، وبتعاوننا ، وبحلّ مشكلاتنا الداخلية ، نسقط من يده هذه الورقة الرابحة وهي الفتن الطائفية ، ونقيم مشروع شرق أوسط جديد من صنعنا ، ووفق مبادئنا ، وقيمنا، ويؤكد وحدتنا ، وتماسكنا ، ولأن الأعداء وضعونا جميعاً في

سلة واحدة ، فينبغي أن نكون جميعاً في خندق واحد ، لقد كانوا من قبل يجبروننا بالقوة العسكرية على أن نفعل ما يريدون ، لكنهم اليوم يجبروننا بالقوة الناعمة – وهي المرأة – على أن نريد ما يريدون ، عن طريق الغزو الإعلامي والثقافي والفني الذي من شأنه أن يشل الأمة ، واعتمدوا على تقويض دعائم الأسرة ، ببرامج تتبناها المنظمات الدولية لتفريغ المبادئ والقيم من رؤوس الشباب والشابات ، وعندها يقل ماء الحياء ، ويقل بعدها ماء السماء ، لذلك يجب أن نقابل القنبلة الذرية بقنبلة الذُّرية ، أي بتربية جيل واع ملتزم ينهض بأمته ، ويعيد لها دورها القيادي بين الأمم ، كما فعل البطل صلاح الدين ، يقول أحد فلاسفة الشرق : أنا أفتح نوافذ بيتي لأجدد الهواء فيه ، ولكنني لا أسمح للرياح العاتية أن تقتلعني من جذوري.

المواطنة أصل في ديننا :

أيها الأخوة الأحباب ؛ الوحدة الوطنية ليست شعاراً يرفع ، ولكنها برنامج عمل ، جاد ومكلف ، يقوم على عدم إثارة أي قضية خلافية بين أطياف المجتمع ، فالأعداء يتعاونون وبينهم من القواسم المشتركة خمسة بالمئة ، وهم يبحثون في كل يوم عن عوامل تزيد من تقاربهم ، والذين حولنا يتقاتلون وبينهم من القواسم المشتركة تسعون بالمئة ، وهم يبحثون في كل يوم عن عوامل تزيد من تباعدهم ، أليس هذا وصمة عار بحق الأمة الواحدة ؟

فالمواطنة أصل في ديننا ، فقد كانت يثرب عشية وصول رسول الله ﷺ إليها تشكل مزيجاً متنوعاً من حيث الدين والعقيدة ، ومن حيث الانتماء القبلي والعشائري ، ومن حيث نمط المعيشة ، ففيهم المهاجرون من قريش ، والمسلمون من الأوس والخزرج ، وغير المؤمنين من الأوس والخزرج ، وأهل الكتاب من الأوس والخزرج ، والأعراب والموالي والأحلاف ، وأعظم مهمة نفذها رسول الله إقامة نظام عام ، ودستور شامل لجميع ساكني المدينة ، جاء في مقدمته أن سكان يثرب أمة واحدة من دون الناس ، وهذا مفهوم المواطنة ، وأنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ ، وحربهم واحدة ، بل لقد حرص رسول الله ﷺ على وحدة أمته من بعده ، فقال :

((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))

[البخاري عَنْ جَرِيرٍ]

لقد وصف الاختلاف الذي يمزق الأمة بالكفر الذي يوجب النار .

المبدأ الذي تقوم عليه الوحدة الوطنية :

وتقوم الوحدة الوطنية على مبدأ قرره رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما قال :

((فإنما تُرزقُونَ وتُنصرون بضعفائكم))

[أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء]

وفي الحديث الشريف ملمحان دقيقان . . . الأول ملمح توحيدي : فنحن إذا نصرنا الضعيف ، أطعمناه إن كان جائعاً ، وكسوناه إن كان عارياً ، وآويناه إن كان مشرداً ، ووفرنا له عملاً إن كان عاطلاً ، وعالجناه إن كان مريضاً ، وهيأنا له سبل المعرفة إن كان جاهلاً ، ونصرناه إن كان مظلوماً ، عندئذ يكافئنا الله مكافأة من جنس عملنا ، فينصرنا على من هو أقوى منا .

والملمح الثاني اجتماعي وهو أن الأمة بنصرة الضعيف تتماسك وتجتمع وتصبح سداً منيعاً ، فلا يستطيع العدو الخارجي أن يخرقها ، ولا أن يفتت وحدتها ، ولا أن يشق صفوفها، أعط الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء ، ولا تغلق بابك دونه حتى لا يأكل القوي الضعيف ، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه : " كاد الفقر أن يكون كفراً " ويمكن أن نستعير هذه المقولة الرائعة من الإمام الجليل فنقول : وكاد الفقر أن يكون جريمة ، وكاد الفقر أن يكون إرهاباً ، وكاد الفقر أن يكون تخريباً ، وكاد الفقر أن يكون سرقة ، وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نعالج المشكلات من أسبابها ، لا من نتائجها ، فقد دخل رجل بستان أنصاري ، وأكل من شجره من دون إذنه ، فساقه إلى النبي ﷺ على أنه سارق ، فقال له عليه الصلاة والسلام : " هلا علمته إن كان جاهلاً، وهلا أطعمته إن كان جائعاً ".

الأنبياء قمم النماذج التي نحترمها :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في ضوء ما تقدم : إن الذين نكّن لهم عظيم الاحترام ، ليسوا أولئك الذين يملكون كثيراً من المال ، أو الدهاء ، أوالمكر ، أو القوة العسكرية الخارقة ، وإنما نكن عظيم الاحترام لأولئك الذين انتصروا على التحديات داخل نفوسهم ، وأولئك الذين يملكون فضيلة الانتظار ، والتضحية بالعاجل في سبيل الآجل ، هؤلاء يرون ما لا يراه الآخرون، ويشعرون بما لا يشعر به الآخرون ، يتمتعون بوعي عميق ، وإدراك دقيق ، لهم قلب كبير ، وعزم متين ، وإرادة صُلبة ، وهدفهم أكبر من حاجاتهم ، ورسالتهم أسمى من رغباتهم ، يملكون

أنفسهم ولا تملكهم ، ويقودون أهواءهم ولا ينقادون لها ، وتحكمهم القيم ويحتكمون إليها ، من دون أن يسخِّروها ، أو يسخَرون منها .

والأنبياء قمم لهذه النماذج التي نحترمها ، ولولا أن الأنبياء بشر تجري عليهم كل خصائص البشر ، وانتصروا على بشريتهم لما كانوا سادة البشر .

الناس رجلان لا ثالث لهما :

لذلك يقع في رأس الهرم البشري زمرتان ؛ زمرة الأقوياء ، وزمرة الأنبياء ؛ فالأقوياء ملكوا الرقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب، وشتان بين أن تملك رقبة الإنسان وأن تملك قلبه ، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، والأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، والأقوياء عاش الناس لهم ، والأنبياء عاشوا للناس ، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي، لذلك بحسب الفطرة الإنسانية أحبّ الناس الأنبياء ، وخافوا من الأقوياء ، وبطولة الأقوياء في التخلق بأخلاق الأنبياء ، عندئذ يهابهم الناس ويحبونهم ، وهذا درس بليغ للأقوياء .

إذاً فالناس على اختلاف مللهم ونحلهم نموذجان ؛ إنسان عرف الله ، فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، وإنسان غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، فشقي في الدنيا والآخرة ، ولن تجد نموذجاً ثالثاً.

ضرورة إيجاد مدخل جديد للتنمية الأخلاقية :

وما دام الحديث عن الأخلاق فنحن في أمس الحاجة إلى إيجاد مدخل جديد للتنمية الأخلاقية ، يقوم على منح بعض الثوابت الأخلاقية الإسلامية معاني جديدة ، أو اهتمامات خاصة ببعض مدلولاتها ، بغية التخفيف من وطأة التخلُّف الذي يجتاح حياة المسلمين ، فالتقوى في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها كي تتناول بعض الفروض الحضارية ، مثل الإسراع إلى العمل ، وإتقان العمل ، وتطوير العمل ، والمحافظة على الوقت ، وحسن إدارة الوقت ، والعمل المؤسساتي ، وترسيخ مفهوم فريق العمل ، والالتزام بالمواعيد ، وحسن التصرّف بالإمكانات المتاحة ، وترشيد الاستهلاك ، والتعاون ، والانتماء للمجموع . . . وكل هذه القيم المعاصرة لها أصول ثابتة في القرآن والسنة .

ويمكن من خلال التربية المركزة أن نجعل المواطن يشعر بحلاوة الإيمان ، وحلاوة الالتزام من خلال القيام بهذه الأعمال التي تقتضيها طبيعة العصر ، كما يشعر تماماً عندما يضع صَدَقة في يد فقير ، أو عندما يقوم الليل

والناس نيام ! . وإن رَفْع المعاناة عن الأمة يتطلب عدداً كبيراً من المؤمنين الواعين المخلصين المضحين في جميع الميادين ، وهذا ما يجب السَّعْي إليه ، ولأن ينجح فرد في إعداد مجموعة من المواطنين إعدادًا إيمانياً وعلمياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وجسدياً أحب وأنفع من أن يلقي بنفسه في أُتون نار تقول : هل من مزيد ، وكما أن الأمة بحاجة إلى من يموت في سبيل الله ، هي في أمس الحاجة إلى من يعيش في سبيل الله ، إن النجاح يكمن في أن يستخدم المرء عقله قبل يده ، كما يفعل أعداؤنا .

مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته :

أيها السيد الرئيس . . . يقول رسول الله ﷺ عن الشام البلد المؤمن الذي أنت تحكمه ، وتقوده إلى مناهضة مخططات المشاريع التقسيمية ، وإحباط طموحات أصحابها في تحقيق أهدافهم ، وخط بيانهم بدأ بالانحدار والحمد لله ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي ، فأتبعته بصري ، فإذا هو قد عمد به إلى الشام ، إلا وإن الإيمان إذا كانت الفتن بالشام))

[أخرجه البزار عن أبي الدرداء]

وإذا وقعت الفتن فالأمن بالشام . والحديث حسن ورجال سنده رجال الصحاح ،

من مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾

[سورة النور: 55]

والشرط يعبدونني . . . وإن تعودوا نعد ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فالكرة في ملعبنا ، ومن مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته أن قوى الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تفسد على الله هدايته لخلقه ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ " لذلك لاينبغي أن نقلق على هذ الدين، لأنه دين الله ، ولكن ينبغي أن نقلق على أنفسنا إذا لم يسمح لنا أن نكون جنوداً له والباطل قديم قدم الإنسان ، ولكن بطولتنا ألا نسمح له أن ينفرد بالساحة .

ومن مقتضيات الإيمان بالله ومسلماته أن أمة في الأرض مهما تكن قوية إذا خططت لتبني مجدها ورخاءها على أنقاض الشعوب ، وحريات الشعوب ، وثقافات الشعوب ، نجاح خططها على المدى البعيد لا يتناقض مع عدل الله فحسب ، بل يتناقض مع وجوده . . . قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة يوسف : 21]

يَقُولُ اللَّهُ تعالى في الحديث القدسي :

((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ))

[أحمد عن أبي هريرة]

فالإيمان إذا كانت الفتن بالشام ، وإذا وقعت الفتن فالأمن بالشام ، كما قال عليه الصلاة والسلام .

مرور الأمة الإسلامية بمحنة عظيمة :

الأمة العربية والإسلامية تمر بمحنة عظيمة ، نرجو أن تكون وراءها منحة ربانية لا شرقية ولا غربية ، ولكن علوية سماوية ، وتعاني هذه الأمة من شدة لم تشهد مثلها في التاريخ الحديث ، نرجو أن يعقب هذه الشدة شدَّة إلى الله عز وجل تستحق بعدها أن تستخلف ، وأن تمكن في الأرض ، وأن تستعيد دورها القيادي بين الأمم ، فهي متحضرة بهذا الدين العظيم، ونرجو أن تكون متطورة ، بينما العالم القوي متطور ولكنه ليس متحضراً وهذه مقولتك قلتها قبل أيام في لقاء يؤكد وحدة هذا البلد الطيب ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

* * *

الخطبة الثانية :

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله ، والله أكبر ولله الحمد . الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله

وأصحابه أجمعين .

الدّين قوام حياتنا :

وأنت أيها السيد الرئيس ولي الأمر في هذا البلد الطيب ، وأنت ممكن فيه ، وأنت بجرة قلم تحق حقاً وتبطل باطلاً ، وتقر معروفاً وتزيل منكراً ، وتقرب ناصحاً مخلصاً ، وتبعد فاجراً منافقاً ، وأنت بهذا أثقلنا حملاً ، وأكثرنا مسؤولية ، ولا ينسى لك العلماء بعامة والقائمون على التعليم الشرعي بخاصة موقفاً مبدئياً أكدته بكلام واضح وجلي وحاسم لا لبس فيه ، في مأدبة الإفطار في رمضان المنصرم التي كرمت بها علماء الدين الإسلامي ، قلت : إن الدين هو قوام حياتنا ، وأننا ندعم التعليم الشرعي بكل ما نملك ، وليس في القيادة من يفكر بالنيل منه، فجزاك الله خيراً ، وعشية هذا العيد صدر قانون بالعفو عن بعض المحكومين فجزاك الله خيراً ثانية ، لهذا ندعو لك من أعماق قلوبنا أن يوفقك الله لقيادة السفينة وسط الأمواج المتلاطمة والمتعاظمة إلى شاطئ السلامة ، وأن يجري الله الخير على يديك ، وأن ينفع الله بك البلاد والعباد ، وأن تكون ناصراً لدينه ، قويا على أعداء الله وخصومه وما أكثرهم في كل مكان، وأن يمتعك الله بالصحة والقوة ، أنت وأهلك ، وجميع من يعينك على أداء رسالاتك ، وتحقيق طموحاتك ، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وانصر عبادك المؤمنين في كل مكان ، واسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، والحمد لله رب العالمين ، وكل عام وأنتم بخير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {05-14}

خطبة عيد الفطر السعيد لعام 1425هـ – 2004م : صحة العبادات الشعائرية تتم بصحة العبادات التعاملية بحضور السيد رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2004-11-14

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر.....

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً

الحمد لله معزِّ الإسلام بنصره ، ومذلِّ الشرك بقهره ، ومصرِّف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، الذي قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانَع ، والظاهر على خليقته فلا يُنازَع ، والآمر بما يشاء فلا يُراجَع ، والحاكم بما يريد فلا يُدافَع .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آل محمد ، وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، حيث رباهم تربيةً حملت أحدهم على أن يقول : والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، وحملت آخر على أن يقول : والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي .

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات

أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام

أعياد المسلمين ، تأتي عقب عبادات كبرى ، كالصيام والحج ، ومن معاني العيد أنه عودة إلى الله ، فإذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ، والعبادة علة وجودنا في

الأرض ، قال تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " والعبادة في أدق تعاريفها : " طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية " ففي هذا التعريف جانب معرفي ، وجانب سلوكي ، وجانب جمالي ، فالجانب السلوكي هو الأصل ، والجانب المعرفي هو السبب ، والجانب الجمالي هو الثمرة ، والعبادات في الإسلام شعائرية وتعاملية .

فالشعائرية كالصلاة والصيام والحج والزكاة ، وهي معللة بمصالح الخلق ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي أساس الوازع الديني ، في حين أن التشريعات الأرضية تعتمد على الرادع الخارجي ، وفرق كبير بين الوازع والرادع ، أراد عبد الله بن عمر رضي الله عنها أن يمتحن راعياً فقال له بعني هذه الشاة ، وخذ ثمنها ، فقال ليست لي ، قال قل لصاحبها ماتت ، أو أكلها الذئب ، فقال الراعي والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟ هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين ، فكفى بالمرء علماً أن يخشى الله ، وكفى به جهلاً أن يعصيه ، والعبادات التعاملية هي الصدق والأمانة والعفة والعدل والإنصاف والرحمة وإنجاز الوعد ، والوفاء بالعهد والتعفف عن المال الحرام ... دخل سيدنا جعفر ابن أبي طالب على النجاشي ملك الحبشة ، فسأله عن الدين الذي جاء به نبي الإسلام فقال له : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الرحم ، ونسيء الجوار ، حتى بعث الله فينا رجلاً ، نعرف صدقه ، وأمانته ، وعفافه ، ونسبه ، فدعانا إلى الله ، لنعبده ونوحده ، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، يتضح من هذا التعريف أن الإيمان هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الإيمان ، قال هذا ابن القيم رحمه الله .

فالشريعة عدل كلها ، رحمة كلها ، مصلحة كلها ، حكمة كلها ، فكل قضية خرجت من العدل إلى الجور ، ومن الرحمة إلى القسوة ، ومن المصلحة إلى المفسدة ، ومن الحكمة إلى خلافها ، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل ، والحقيقة الخطيرة : أن العبادات الشعائرية ، ومنها الصلاة والصيام ، لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية .

سأل النبي ﷺ أصحابه الكرام : من المفلس ؟ قالوا من لا درهم ولا متاع ، فقال لا ... المفلس من أتى بصلاة وصيام وصدقة ، وقد أكل مال هذا ، وشتم هذا ، وضرب هذا ، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسنات ، طرحوا عليه سيئاتهم حتى يطرح في النار ، هذا في الصلاة ، ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ، هذا في الصوم ، ومن حج بمال حرام ، ووضع رجله في الركاب ، وقال لبيك اللهم لبيك ، فينادى أن لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك ، هذا في الحج ، وقل أنفقوا طوعاً

أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين هذا في الزكاة

هذه هي الحقائق المرة التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح

ولكن ... ما السبب في ضعف العبادة التعاملية ، والجواب هو ضعف المعرفة بالآمر لأن أصل الدين معرفة الله، فنحن إذا عرفنا الآمر ، ثم عرفنا الأمر ، تفانينا في طاعة الآمر ، أما إذا عرفنا الأمر ، ولم نعرف الآمر ، تفننا في التفلت من الأمر ، ومن طرق معرفة الآمر : التفكر في آياته الدالة على عظمته ، ومن هذه الآيات على سبيل المثال العين قال تعالى : ألم نجعل له عينين ... وحينما يعلم الإنسان أن العين آية دالة على عظمة الله ، فقرنيتها تتغذى عن طريق الحلول لاعن طريق الأوعية الشعرية ، وإلا كانت رؤية الإنسان من خلال شبكة الأوعية ، وفي أرقى آلات التصوير الرقمية الاحترافية يوجد عشرة ألاف مستقبل ضوئي في الميليمتر المربع بينما في العين التي هي من صنع الله يوجد مئة مليون مستقبل ضوئي (عصيات ومخاريط) في الميليمتر المربع من الشبكية ، لذلك تتمتع العين برؤية فائقة الدقة بحيث تميز بين ثمانية مليون لون ولو درج اللون الأخضر مثلاً ثمانمئة ألف درجة لفرقت العين السليمة بين درجتين (صنع الله الذي أتقن كل شيء) ولا تزال عملية المطابقة التي تقوم على ازدياد احديداب العدسة حتى يقع الخيال على الشبكية إعجازا في خلق العين ، يصعب شرحه من على المنبر .

هذا الإله العظيم يعصى ، ألا يخطب وده ، ألا ترجى جنته ، ألا تتقى ناره ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء.

وتدور العبادة مع الإنسان في كل مواقعه ، وفي كل أحواله ، وفي كل أوقاته ؛ فهناك عبادة الهوية ...

من أنت ...؟

إن كنت قوياً فعبادتك الأولى إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وإنصاف الضعيف ، ونصرة المظلوم

وإن كنت غنياً فعبادتك الأولى إنفاق المال في وجوه الخير حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي

وإن كنت عالماً فعبادتك الأولى في قوله تعالى : الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله

وإن كنت امرأة فعبادتك الأولى حسن رعاية الزوج ليزيد عطاؤه في الحياة ، فوراء كل رجل عظيم امرأة ، ولما فتح النبي ﷺ مكة المكرمة دعاه سادة قريش ليبيت عندهم ، فقال : انصبوا خيمة عند قبر خديجة ، وركز لواء النصر أمام قبرها ، ليعلم الناس جميعاً أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر ، لأنها كانت سنده من الداخل

وعبادتك الثانية : تربية الأولاد ليكونوا عناصر نظيفة ، منضبطة ، معطاءة ، تسهم في بناء المجتمع

هذا عن عبادة الهوية ...

فماذا عن عبادة العصر ...

إذا كان الطرف الآخر يريد إفقارنا ، فالعبادة الأولى استصلاح الأراضي ، وإقامة السدود ، واستخراج الثروات ، وتطوير الصناعات ، وتفجير الطاقات

وإذا كان الطرف الآخر يريد إضلالنا ، وتغيير هويتنا ، وطمس ثقافتنا ، فالعبادة الأولى ترسيخ معالم ديننا ، والحفاظ على مبادئنا ، وتعزيز قيمنا ، علماً بأن ثقافة كل أمة هي ملك البشرية جمعاء لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال ، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع العسل الذي استخلص من زهراتنا

وإذا كان الطرف الآخر يريد إفسادنا فعلينا أن نحصن شبابنا وشاباتنا ، فنأخذ ما في رؤوس العالم المتقدم من علم ومعرفة ، وندع ما في نفوسهم من تفلت وانحلال

أيها الإخوة حضوراً ومستمعين ومشاهدين

سأضع بين أيديكم لقطات وومضات من التاريخ الإسلامي المشرق يوم فهم الصحابة الكرام ، والتابعون الأعلام ، والعلماء الربانيون ، أن العبادة الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادة التعاملية ، فجعلهم الله قادة للأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم ، ولو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما نفهمه نحن لما خرج من مكة المكرمة ، ولما وصل إلى الصين شرقاً ، وإلى مشارف باريس غرباً

عمر بن الخطاب ... كان إذا أراد إنفاذ أمر ، جمع أهله وخاصته ، وقال إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ... وايم الله ... لا أوتين بواحد وقع في ما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ... فصارت القرابة من عمر مصيبة

وقال لأحد الولاة : إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً ، التمست في المعصية

أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة ، قبل أن تشغلك بالمعصية ، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم

ومرة كان يتفقد أحوال رعيته ليلاً وبصحبته عبد الرحمن بن عوف فرأى قافلة قد حطت رحالها في ظاهر المدينة، فقال لصاحبه تعال نحرس هذه القافلة فسمع بكاء طفل فقال لأمه أرضعيه ، ثم بكى ثانية ، فقال لها ثانية أرضعيه ، قالت له وما شأنك بنا !!! إنني أفطمه ، قال ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام ... تروي الروايات أنه بكى ، ووضع يديه على رأسه ، وقال ويحك يا بن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين، ثم أمر أن يعطى العطاء (التعويض العائلي) حين الولادة ، وفي صلاة الفجر ، بكى كثيراً ودعا وقال : يا رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي ، أم رددتها فأعزيها

ومرة جاءه ملك الغساسنة جبلة ابن الأيهم مسلماً ، فرحب به عمر رضي الله عنه ، وفي أثناء طواف جبلة حول الكعبة داس بدوي من فزارة طرف ردائه ، فالتفت جبلة نحو البدوي وضربه ضربة هشمت أنفه ، فما كان من هذا البدوي إلا أن شكا جبلة إلى عمر ، فاستدعى عمر جبلة إلى مجلسه ، ودار بينهما حوار ، صاغه أحد الأدباء المعاصرين شعراً ؛ قال عمر لجبلة : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال جبلة : لست ممن يكتم شيئا ، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيديا ، قال عمر : أرض الفتى لابد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، وتنال ما فعلته كفك ؟ قال جبلة : كيف ذاك يا أمير ؟ هو سوقة وأنا عرش وتاج ، كيف ترضى أن يخر النجم أرضا ، قال عمر : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية ، قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جدياً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا قال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني ، فقال عمر : عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى

وكان عمر رضي الله عنه يقول : والله لو تعثرت دابة في العراق لحاسبني الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر

وكان عمر رضي الله عنه يمشي في إحدى سكك المدينة فوجد أطفالاً يلعبون ، فلما رأوه تفرقوا هيبة منه إلا واحداً فسأله عمر : يا غلام لم لم تهرب مع من هرب فقال أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك ، ولست مذنباً فأخشى عقابك والطريق يسعني ويسعك

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يؤدي خدمة لجارة له عجوز ، ولما تولى خلافة المسلمين غلب على ظن جارته العجوز أن هذه الخدمة سوف تتوقف ، وفي صبيحة اليوم الذي تولى فيه الخلافة طرق باب العجوز فقالت لابنتها افتحي الباب ، ثم سألتها من الطارق ؟ قالت البنت جاء حالب الشاة يا أماه

كان ابن عباس رضي الله عنهما معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ فرأى في المسجد رجلاً تبدو عليه الكآبة ، فسأله مالك ؟ فقال : ديون لزمتني ما أطيق سدادها ، فقال ابن عباس : لمن ؟ فقال لفلان ، فقال ابن عباس أتحب أن أكلمه لك ، فقال الرجل إذا شئت ، فقام ابن عباس ليخرج من معتكفه ، وليكلم الدائن ، فقال أحد المعتكفين : يا بن عباس أنسيت أنك معتكف ، فقال ابن عباس : لا والله ... ولكني سمعت صاحب هذا القبر يعني رسول الله ﷺ ، والعهد به قريب ، ودمعت عيناه سمعته يقول :

" **والله لأن أمشي مع أخ في حاجته ، خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا** "

تروي فاطمة بنت عبد الملك ، زوجة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين " دخلت على عمر يوماً في مصلاه فرأيته واضعاً يده على خده ، ودموعه تسيل ، فقلت له : ما بالك ، وفيم بكاؤك ؟ فقال : دعيني وشأني ، فلما ألحت عليه قال لها : ويحك يا فاطمة ، إني قد وُليت هذا الأمر ، ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع ، والعاري المجهول ، واليتيم المكسور ، والمظلوم المقهور ، والغريب ، والأسير ، والشيخ الكبير ، والأرملة الوحيدة ، وذوي العيال الكثير ، والرزق القليل ، وأشباههم في أطراف البلاد ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم جميعاً يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم يومئذ رسول الله ، فخشيت ألا تثبت لي حجة ، فلذلك أبكي " .

وقد ورد في الحديث الشريف أنه يأتي على القاضي العدل ساعة يتمنى فيها أن لو لم يقض بين اثنين في تمرة

وقال عالم جليل : " والله لترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام " والدانق سدس الدرهم

وقد قال عليه الصلاة والسلام : " إنما تنصرون بضعفائكم " ، وفي الحديث الشريف ملمحان دقيقان ... الأول ملمح توحيدي : وهو أن القوي الذي مكنه الله في الأرض إذا نصر الضعيف أطعمه إن كان جائعاً ، وكساه إن كان عارياً ، وآواه إن كان مشرداً ، ووفر له عملاً إن كان عاطلاً ، وعالجه إن كان مريضاً ، وهيأ له سبل المعرفة إن كان جاهلاً ، ونصره إن كان مظلوماً ، عندئذ يكافئ الله القوي مكافأة من جنس عمله ، فينصره على أعدائه الأقوى منه ، والملمح الثاني تكتيكي إن صح التعبير : أن الأمة بنصرة الضعيف تتماسك وتجتمع وتصبح سداً منيعاً ، فلا يستطيع العدو الخارجي أن يخرقها ولا أن يفتت وحدتها ، ولا أن يشق صفوفها ، أعط الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء .

وكان النبي ﷺ يعالج المشكلات من أسبابها ، لا من نتائجها ، فقد دخل رجل بستان أنصاري ، وأكل من شجرة من دون إذن الأنصاري فساقه إلى النبي ﷺ على أنه سارق ، فقال له عليه الصلاة والسلام : هلا علمته إن كان

جاهلاً ، وهلا أطعمته إن كان جائعاً

تَزَوَّدْ مِنَ التّقوى فإنّكَ لا تدرِي إذَا جَنَّ لَيْلٌ هل تعيشُ إلى الفَجْرِ
فَكَمْ مِن سَليمٍ مَات مِن غيرِ عِلّةٍ وَكَمْ مِن سقيمٍ عَاشَ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الخطبة الثانية:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله ، أكبر ولله الحمد . الحمد لله معيد الجُمَع والأعياد ، وناصر الأمم والأجناد ، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

أيها الإخوة الأحباب ... قبل أن ننتقل إلى الموضوع الساخن ، لابد من التنويه إلى أن المسلم إذا قال الله أكبر وهو يطيع مخلوقاً ، ويعصي خالقه ، لأنه رأى أن طاعة هذا المخلوق أكبر عنده من طاعة خالقه ، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددها بلسانه ألف مرة

إخوة الإيمان في كل مكان ...

العولمة كما يريدها ، ويروِّج لها دُعاتها لا تعدو أن تكون تعبيراً معاصراً عن نزعة تسلطية قديمة ، صاحبت كل قوة غاشمة على مدار التاريخ .

إنها تضفي طلاءً من الذهب على الأغلال الحديدية ، وتتوارى خلف أقنعة زائفة من العبارات الجذابة ، والشعارات البراقة ، كالعدالة ، والديمقراطية ، والحرية ، والسلام العالمي ، والتعايش السلمي ، وحقوق الإنسان ، ومكافحة الإرهاب ... فهي علقم قديم في آنية جديدة .

ولعل من أبرز مظاهر هذه العولمة انهيار السدود بين الحضارات والثقافات ، وفرض الهيمنة الغربية في مختلف المجالات ، سياسة ، واقتصاداً ، وإعلاماً ، وفكراً ؛ توطئة للاستيلاء على ثروات الشعوب ، وشل قدراتها الوطنية، ومسخ هويتها ، وخصوصياتها الحضارية ، وتحويل أسواقها المحلية إلى أسواق استهلاكية ، تفتح

الأبواب على مصاريعها أمام الشركات الأجنبية لترويج منتجاتها ، وتراكم أرباحها .

أيها السيد الرئيس لقد قلت في مؤتمر القمة الإسلامي في الدوحة :

ديننا الإسلامي الحنيف ، دين الأخلاق ، والعدل ، والمحبة الذي تم تشويهه إعلاميا ، وتثقيفيا ، وتربويا ليغدو دين القتل ، والتطرف ، والإرهاب ، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة ، وكل عملية تخريب ، أو عمل إرهابي منفذه هو مسلم ، حتى يثبت العكس ، وغالبا ما يثبت العكس ، أما الاتهام فيبقى كما هو

إن علينا أن نعزز الدين الإسلامي الصحيح عقيدة وسلوكا ففيه تحصين للإسلام والمسلمين وإضعاف لأعدائهم وهذا يبدأ بمكافحة وتجنب كل الممارسات الشاذة الناجمة عن فهم خاطئ للدين والتي تسيء إليه بشكل مباشر وتعطي الآخرين من أصحاب النيات السيئة الحجة والمبرر لوصف الإسلام بشتى الصفات السلبية واللاإنسانية.

أيا الإخوة المستمعون أيتها الأخوات المستمعات

من مسلمات الإيمان الحق أنه لن تستطيع قوة في الأرض مهما طغت وبغت أن تفسد على الله هدايته لخلقه ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولكنه يسمح لهؤلاء الأقوياء أن يهددوا ليمتحن إيمان المؤمنين، قال تعالى : الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم " فينبغي ألا نقلق على هذا الدين ، لأنه دين الله ، ولكن ينبغي أن نقلق على أنفسنا في ما إذا سمح الله لنا ، أو لم يسمح أن نكون جنوداً له ، ولكن إذا هان أمر الله علينا هنا على الله

أيها السيد الرئيس أنت ممن مكنه الله في الأرض ، وإنجازاتك وطموحاتك لاتغيب عن أحد ، فقد أتاح الله للممكنين في الأرض من الأعمال الجليلة ما لم يتح لسواهم من الملايين المملينة ، وكلما ارتفع موقع الإنسان اتسعت دائرة رؤيته ، وكثرت أمامه فرص الأعمال البطولية ، فبجرة قلم يحق حقاً ويبطل باطلا ، ويقر معروفاً ، ويزيل منكراً ، ويدعم حراً مخلصاً ، ويبعد فاجراً منافقاً ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن ، وكلما ارتفع موقع الإنسان ازدادت مسؤوليته عند الله ، فأنت أيها السيد الرئيس أثقلنا حملاً ، لذلك يقول الإمام مالك إمام دار الهجرة : لو أن لي دعوة مستجابة لادخرتها لأولي الأمر لأن في صلاحهم صلاح الأمة ، لهذا ندعو لك من أعماق قلوبنا أن يوفقك الله لقيادة السفينة وسط الأمواج المتلاطمة إلى شاطئ السلامة ، وأن يجري الله الخير على يديك ، وأن ينفع الله بك البلاد والعباد ، وأن تكون ناصراً لدينه ، قويا على أعدائه وخصومه ، وأن يمتعك

الله بالصحة والقوة ، أنت وأهلك ، وجميع من يعينك على أداء رسالاتك ، وتحقيق طموحاتك يا رب أنت غنى كل فقير ، وعز كل ذليل ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف ، فحاشا يا رب أن نفتقر في غناك ، وأن نضل في هداك ، وأن نذل في عزك ، وأن نضام سلطانك ، فما من مخلوق يعتصم بك من دون خلقك ، فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا ، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونك إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه وقطعت أسباب السماء بين يديه ،

اللهم انصرنا على أنفسنا حتى ننتصر لك فنستحق أن تنصرنا على أعدائنا

ولا تجعلنا ممن هان أمر الله عليهم فهانوا على الله

اللهم أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، وانصر عبادك المؤمنين في كل مكان ، وفي العراق وفلسطين

اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد ، لما فيه خير البلاد والعباد ، وهيئ له فريق عمل في مستوى طموحاته يا رب العالمين ، يا رب العالمين

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

وكل عام وأنتم بخير

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {06-14}

خطبة عيد الفطر السعيد لعام 1423هـ - 2002م : لتكبروا الله على ما هداكم- هل أنت في مستوى التكبير ؟

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-12-2002

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، و الحمد لله كثيراً، و سبحان الله و بحمده بكرة و أصيلاً.

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾

[سورة البقرة: الآية 185]

و قد أكملنا العدة و الحمد لله و بتوفيق الله:

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾

[سورة البقرة: الآية 185]

و ها نحن أولاء أيها الإخوة نكبر الله و لكن لابد من سؤال كبير هل نحن في مستوى التكبير ؟ تقول أنت الله أكبر فهل ترى حقيقة أن الله أكبر من كل شيء ؟ هل ترى حقيقة أن الله أكبر من أعدائك الأقوياء ؟ هل تقول الله أكبر حينما تفتتح الصلاة ؟ هل ترى أن الله أكبر من أي شيء يشغلك عنها ؟ حينما تلقى العدو تقول الله أكبر، هل ترى أن الله أكبر من كل أعداء المسلمين ؟ هذه كلمة هينة على اللسان و لكنها ثقيلة في الميزان، الذي يقول الله أكبر و يطيع مخلوقاً و يعصي خالقاً ما قالها و لا مرة و لو رددها بلسانه ألف مرة، و الذي يقول الله أكبر و يطيع زوجته في معصية الله ما قالها و لا مرة و لو رددها بلسانه ألف مرة، لمجرد أن ترتكب معصية و لهذه المعصية نفع مادي إنك حينما ترى أن هذا النفع أكبر من طاعة الله و من رضوانه فأنت لم تقل الله أكبر و لا مرة و لو رددتها بلسانك ألف مرة.

أيها الإخوة:

و لندقق فيما نقول، تقول الله أكبر هل تملك رؤية في مستوى هذه الكلمة ؟ هل تنهج في سلوكك منهجاً في مستوى هذه الكلمة، هل تكسب مالك بمستوى هذه الكلمة ؟ قد يأتي دخل كبير و لكن فيه شبهة فهل تقول الله أكبر من هذا الدخل ؟ و رضوان الله أكبر عندي من هذا الدخل و قد تعرض لك سنحة أو فرصة بمتعة لا ترضي الله فهل تقول الله أكبر فتمتنع ؟ النموذج الذي نراه من حولنا هناك من يردد الله أكبر، من يكثر من تردادها و لكن ما ترى في السلوك ما يؤكدها، لا ترى في التعامل ما يؤكدها، لا ترى في كسب المال ما يؤكدها، لا ترى في إنفاق المال ما يؤكدها، لا ترى في ضبط الجوارح ما يؤكدها، لا ترى في ضبط اللسان ما يؤكدها، ما ترى فيما نفعل في أيام راحتنا ما يؤكدها، لا ترى ما نفعله في أفراحنا ما يؤكدها، لا ترى ما نفعله في أحزاننا ما يؤكدها، تقول الله أكبر أي رضوانه أكبر من كل شيء، طاعته أكبر من كل شيء، الإقبال عليه أكبر من كل شيء، فأي شيء إذا حال بينك و بينه ينبغي أن تركله بقدمك لأن الله أكبر، فهذه الكلمات العظيمة التي ظهرت مع ظهور هذا الدين الجديد و التي من خلال فهم الصحابة لها وصلوا إلى أطراف الدنيا، نحن لا نملك من أمرنا شيئاً، ليست كلمتنا هي العليا لأننا ما قلنا الله أكبر، للكفار علينا ألف سبيل و سبيل لأننا ما قلنا الله أكبر، لسنا سعداء في بيوتنا لأننا ما قلنا الله أكبر، لو أن المسلمين قالوا الله أكبر كما أراد الله أن تقال و كما ينبغي أن تقال لكنا في حال غير هذا الحال الذي ترونه، كلمات الإسلام الكبرى الله أكبر، سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، هذه الكلمات في آخر الزمان فُرغت من مضمونها، أصبحت شكلاً بلا مضمون، أصبحت حروفاً بلا معاني،

أصبحت عادات من عوائدنا و ليس منهجاً من مناهج حياتنا.

أيها الإخوة الكرام:

دققوا فيما تقولون، تقول الله أكبر هل يمكن أن تطيع مخلوقاً و تعصي خالقاً أنت إذاً لم تقولها و لا مرة و لو رددتها بلسانك ألف مرة، تقول الله أكبر و هل تؤثر دخلاً مشبوهاً على طاعة الله إن فعلت هذا ما قلتها و لا مرة و لو رددتها بلسانك ألف مرة.

أيها الإخوة الكرام:

نريد أن نعود إلى ينابيع الدين الأصيلة، نريد أن نعود إلى أصول الدين، إلى ينابيعه الأصيلة، حينما كان ما ينطق به المرء كامن في قلبه و ما هو كامن في قلبه ينطق به لسانه و ليس هناك أية مسافة بين الأقوال و الأعمال و لا بين السرائر و المعلن عنه، و لا بين الخلوة و الجلوة، الصحابة الكرام رضي الله عنهم لأنهم كانوا صادقين معه.

أيها الإخوة الكرام:

شيء آخر في هذه المناسبة السعيدة، نحن في العيد نصل الرحم و هو من سنة النبي صلى الله عليه وهناك آيات و أحاديث كثيرة تؤكد على صلة الرحم و لكن كيف نصل الرحم ؟ ألف المسلمون أن يتراشقوا الزيارات في العيد و هم الواحد ألا يرى الذي يزوره كي يختصر الوقت، أن يضع له بطاقة، هكذا أصبحت صلة الرحم، صلة الرحم من أجل الطاعات لله عز وجل، ينبغي أن تزور أقاربك من دون استثناء، ينبغي أن تتفقد أحوالهم، ينبغي أن تتفقد أحوالهم المعيشية، ينبغي أن تتفقد أحوالهم الدينينة، أحوالهم التربوية، ينبغي أن تتفقد كل شؤون حياتهم، لأنك موكل بهم، لأن الضمان في الإسلام أساسه الجوار و أساسه النسب عاملان من عوامل الضمان الاجتماعي من حولك من الجيران و من يلوذ بك من الأقارب، فلو أن كل إنسان مكنه الله في الأرض تفقد رحمه تفقداً صحيحاً، أخذ بيد أبنائهم إلى طاعة الله، أعانهم على أمور دنياهم، يسر لهم سبل المعيشة، وجههم التوجيه الصحيح، لابد من زيارتهم و لابد من تفقد أحوالهم و لابد من الأخذ بأيديهم إلى الله فإذا وصلت إلى هذه المرتبة فقد وصلت رحمك.

أيها الإخوة الكرام:

مع مضي السنون و الحقب على هذا الدين العظيم فرغت معانيه و بقي له شكل لا يقدم و لا يؤخر، لذلك بدأ الدين غريباً و سيعود كما بدأ فطوبى للغرباء، أناس صالحون في قوم سوء كثير.

صلة الرحم تعني أن تتفقد من حولك من أقاربك من كل النواحي، و أن تمدهم بعلمك و بتوجيهك و بتربيتك و بمالك و بعطفك و برحمتك.

أيها الإخوة الكرام:

النموذج الإسلامي هو النموذج الذي ينبغي أن تبحث عنه، ينبغي أن نتمسك فيه، كيف أن النبي صلى الله عليه و سلم كان قرآناً يمشي، قال بعضهم الكون قرآن صامت و القرآن كون ناطق و النبي صلى الله عليه و سلم قرآن يمشي، لذلك ينبغي أن تكون إسلاماً يمشي أنت، إن حدثت الناس فأنت صادق و إن وعدتهم فأنت منجز لوعدك، إن عاملتهم فأنت أمين، إن استثيرت شهوتك فأنت عفيف، ألم يقل سيدنا جعفر رضي الله عنه: كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام و نأكل الميتة و نأتي الفواحش و نقطع الرحم و نسيء الجوار حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته و صدقه و عفافه و نسبه، فدعانا إلى الله لنعبده و نوحده و نخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن الجوار و الكف عن المحارم و الدماء.

أيها الإخوة الكرام:

من قال لكم إن الإسلام لا يزيد عن أداء الصلوات الخمس و صيام رمضان و حج البيت و أداء الزكاة، هذه أركان الإسلام و لكن النبي عليه الصلاة و السلام يقول بني الإسلام على خمس، فالإسلام شيء آخر إنه منظومة قيم بعد أن تؤدي الصلاة و بعد أن تصوم رمضان و بعد أن تحج البيت و بعد أن تؤدي الزكاة، الإسلام صدق، الإسلام أمانة، الإسلام ورع، الإسلام عفة، الإسلام إنجاز للوعد، الإسلام تحقيق للعهد، الإسلام إنصاف، الإسلام عدل، لذلك قال بعضهم و يؤسفني أن أردد هذه الكلمة: إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة:

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾

[سورة الأنعام: الآية 82]

المعنى المخالف: أن هناك من المؤمنين من يؤمن و يلبس إيمانه بظلم هؤلاء ليس لهم عند الله شيء، ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، و الدانق سدس الدرهم، و يقول عليه الصلاة و السلام:

((و الله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر و اعتكافه في مسجدي هذا))

سيدنا ابن عباس رضي الله عنه كان معتكفاً رأى رجلاً كئيباً فقال له: مالي أراك كئيباً ؟ قال: ديون ركبتني ما أطيق سدادها، قال: لمن ؟ قال: لفلان، قال: أتحب أن أكلمه لك ؟ قال: إذا شئت، فخرج ابن عباس من معتكفه قال له أحدهم: يا ابن عباس أنسيت أنك معتكف ؟ قال: لا و الله و لكني سمعت صاحب هذا القبر و بكى و العهد به قريب و الله و النبي يقسم لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر و اعتكافه في مسجدي هذا.

أيها المؤمن حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، لأن الله سبحانه و تعالى يقول:

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[سورة فاطر: الآية 10]

لأن الله سبحانه و تعالى يقول:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام: الآية 132]

اسأل نفسك هل لك عمل صالح ؟ هل تحمل هموم المسلمين ؟ هل تساهم بشكل أو بآخر في حل مشكلاتهم ؟ هل تبتز أموالهم ؟ هل تلقي في قلوبهم الخوف من أجل أن تكسب من أموالهم ؟ هل تبني مجدك على أنقاضهم؟ هل تبني غناك على فقرهم ؟ هل تبني حياتك على موتهم ؟ هل تبني أمنك على خوفهم أم أنك في خدمتهم ؟ من نفث عن مؤمن كربة نفث الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، هل لك سهم في تنفيس كرب الناس و ما أكثرها ؟ هل تخفف عن الناس أعباء الحياة ؟ هل لك يد بيضاء في حل مشكلاتهم ؟ هل تؤلف بين قلوبهم ؟ هل تصلح ذات بينهم؟ ما العمل الذي تلقى الله به ؟ لو أن المنية جاءت بغتة ما العمل الذي تقول يا رب فعلت هذا من

أجلك ؟ هذا الذي يعيش لذاته و لشهواته و لحظوظه و لمصالحه هذا لم يفقه من الإسلام شيئاً، إنك في دار عمل و لست في دار جزاء، إنك في دار تكليف و لست في دار تشريف، إنك في دار سعي و كد و لست في دار استرخاء و متعة، إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء و منزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء و لم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى و جعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا و جعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطي و يبتلي ليجزي.

أيها الإخوة الكرام:

فكرة ثالثة: لاشك أنكم صمتم رمضان هنيئاً لكم صيامكم و هنيئاً لكم إفطاركم و هنيئاً لكم طاعتكم لربكم، و لكن هل تعتقدون انه إذا انتهى الصيام انتهت التزامات الصيام ؟ في رمضان كنت تغض بصرك ينبغي أن تبقى عينك تغض عن محارم الله بعد رمضان و إلى رمضان آخر و إلى نهاية الحياة، في رمضان لاشك أنك ضبطت لسانك ينبغي أن يبقى هذا الضبط مستمراً إلى نهاية الدوران، في رمضان صليت الصلوات الخمس في أوقاتها و في المسجد هذه طاعة و هذا إنجاز ينبغي أن تستمر به بعد رمضان، الإنجازات التعبدية و الإنجازات التعاملية التي حققتها في رمضان ينبغي أن تستمر بعد رمضان، هكذا أراد الواحد الديان، أما هذا الذي يعود بعد رمضان إلى ما كان قبل رمضان هذا لم يفقه من حقيقة الصيام شيئاً إنه كالناقة عقلها أهلها فلا تدري لا لما عقلت و لا لما أطلقت.

أيها الإخوة الكرام:

البطولة ألا تفطروا إلا بأفواهكم فقط بتناول الطعام و الشراب، أما الذي صمتم عنه في رمضان من غض بصر و من تنزيه سمع و من ضبط يد و من ضبط رجل و من ضبط لسان و من تلاوة للقرآن و من صلاة في المسجد هذا ينبغي أن يستمر إلى نهاية الحياة إن أردتم أن تصوموا كما أراد الله لكم أن تصوموا.

أيها الإخوة الكرام:

لابد من التنويه بأن لا سمح الله و لا قدر لو أن شخصاً لم يحكم صيامه في رمضان و جاء العيد ماذا يفعل ينبغي أن يفعل من شهور العام كلها رمضان، يمكن أن تتوب بعد رمضان و يمكن أن ترجع إلى الله بعد رمضان و يمكن أن تعقد صلحاً مع الله بعد رمضان و يمكن أن تتقن عباداتك بعد رمضان مادام القلب ينبض، مادام في

العمر فسحة فباب التوبة مفتوح على مصراعيه، لا سمح الله و لا قدر إن فاتتك التوبة في رمضان فتب بعد رمضان، اجعل من الشهور كلها رمضان، الله معك في كل مكان، و معك في كل زمان، و معك في كل حال، و ما أرادنا أن نصوم رمضان ليكون الصفاء في رمضان، أرادنا أن يبدأ الصفاء في رمضان و أن يستمر إلى نهاية الحياة، ما أرادنا أن يكون الصفاء في بيت الله الحرام أراده أن يبدأ هناك و أن يستمر في كل مكان، ما اصطفى الله النبي ليكون كاملاً وحده أراده أن يكون قدوة لنا نسعد به جميعاً.

أيها الإخوة الكرام:

باب الجنة مفتوح على مصراعيه، باب التوبة مفتوح على مصراعيه، إذا قال العبد يا رب و هو راكع قال الله له لبيك يا عبدي، إذا قال العبد يا الله و هو ساجد قال الله لبيك يا عبدي، إذا قال العبد يا رب و هو عاص قال الله لبيك ثم لبيك ثم لبيك.

من فاته رمضان ليجعل من شوال رمضان، و من ذي القعدة رمضان، و من ذي الحجة رمضان، و ليجعل كل شهور العام رمضان و باب الله مفتوح و يا عبدي لو جئتني بملء السماوات و الأرض خطايا غفرتها لك و لا أبالي، إني و الإنس و الجن في نبأ عظيم أخلق و يعبد غيري، و أرزق و يشكر سواي، خيري إلى العباد نازل و شرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي و أنا الغني عنهم، و يتبغضون إلى بالمعاصي و هم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، و من أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنتهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم و إن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب و المعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها و أزيد، و السيئة بمثلها و أعفو، و أنا أرأف بعيدي من الأم بولدها.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، و لله الحمد، أقول قولي هذا و أستغفر الله العظيم فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً و الحمد لله كثيراً و سبحان الله و بحمده بكرة و أصيلاً.

الحمد لله رب العالمين، و أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين و أشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله صاحب

الخلق العظيم.

أيها الإخوة المؤمنون:

ورد في الحديث القدسي:

((ليس كل مصل يصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، و كف شهواته عن محارمي، و لم يصر على معصيتي، و أطعم الجائع، و كسا العريان، و رحم المصاب، و آوى الغريب، كل ذلك لي، و عزتي و جلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس على أن اجعل الجهالة له حلماً و الظلمة نوراً، يدعوني فألبيه و يسألني فأعطيه، و يقسم علي فأبره، أكلأه بقربي، و أستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها و لا يتغير حالها))

أيها الإخوة الكرام:

أعود و أكرر إن أردتم أن تقطفوا ثمار رمضان فتابعوا طاعتكم، و تابعوا انضباطكم، و تابعوا تلاوتكم لكتابه، و تابعوا إنفاقكم للمال بعد رمضان، المؤمن يجعل شهور العام كلها رمضان بطاعته للواحد الديان، لا يفطر في يوم العيد إلا فمه، و تبقى جوارحه صائمة كما كان في رمضان.

اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافنا فيمن عافيت، و تولنا فيمن توليت، و بارك لنا فيما أعطيت، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، و إنه لا يذل من واليت و لا يعز من عاديت، تباركت ربنا و تعاليت، و لك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، و أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، و أصلح إلينا آخرتنا التي إليها مردنا، و اجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، و اجعل الموت راحة لنا من كل شر مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، و بطاعتك عن معصيتك، و بفضلك عمن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك و لا تهتك عنا سترك و لا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم اسقنا الغيث و لا تجعلنا من القانتين، و لا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين، اللهم انصر عبادك المؤمنين على أعدائهم أعداء الدين، على أعدائهم أعداء الحق، على أعدائهم أعداء الخير، اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم، اللهم شتت شملهم و بدد جمعهم يا رب العالمين، اجعل الدائرة تدور عليهم، ألهم عبادك المؤمنين أن ينتصروا على أنفسهم حتى يستحقوا أن تنصرهم على أعدائهم يا قوي يا متين، اللهم اكتب الصحة و السلامة لكل من يجاهد في سبيلك في مشارق الأرض و مغاربها يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة المسلمين لما تحب و ترضى، اجمع بينهم على خير، ألهمهم رشدهم يا رب العالمين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً و الحمد لله كثيراً و سبحان الله و بحمده بكرةِ و أصيلاً و كل عام و أنتم بخير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {07-14}

خطب الأعياد 08 – خطبة عيد الأضحى المبارك لعام 1417هـ – 1997م : خ1 – معاني كلمة ملة أبينا إبراهيم عليه السلام ، خ2 – الأضحية شعيرة من شعائر المسلمين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-04-1996

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً، الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

اتباع ملة أبينا إبراهيم :

وبعد: فيا أيها الأخوة الكرام يقول الله جلّ جلاله في كتابه العزيز:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

[سورة الحج]

أيها الأخوة الكرام، وردت ملة إبراهيم في القرآن الكريم في آيات كثيرة، وقد أمرنا الله ﷻ أن نتبع ملة أبينا إبراهيم، لأنه هو الذي سمانا المسلمين من قبل كما وردت هذه الفكرة في تلك الآية، فما ملة أبينا إبراهيم؟.

من ملة أبينا إبراهيم :

1 . أنه كان شرعة و منهاجاً و دستوراً :

أيها الأخوة الكرام، آيات عديدة من كتاب الله تتحدث عن ملة إبراهيم، من هذه الآيات:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة النحل]

أيها الأخوة، الأمة هي الشرعة والطريقة، أي إن إبراهيم كان منهجاَ، كان شريعة، كان دستوراً، فكل من اتبعه وصل إلى الله، ووصل إلى سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة.

وقال بعضهم: الأمة الجماعة، فالمؤمن إذا اتبع منهج الله عز وجل، وأقام الإسلام في بيته، وفي عمله، وأخلص لربه، التفت القلوب من حوله، فكان أمة، كان في قلوب الآخرين، كان في مشاعرهم، كان في عواطفهم، كان في أعلى درجات المحبة.

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾

كان شرعة، وكان منهاجاً، وكان جماعة، وقال بعض العلماء: إن إبراهيم كان أمة أي جامعاً لكل أنواع الخير، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله عز وجل، يقيم شرع الله، يقبل على الله، ينقطع له، وقال بعضهم: "أم الشيء أصله وعماده، فإن إبراهيم كان أمة أي كان أصلاً من أصول الدين"، ثم قال بعض العلماء أيضاً: "إن إبراهيم كان أمة أي كان رجلاً لا نظير له".

يروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن معاذاً كان أمة، قانتاً لله حنيفاً، فقال: ابن جرير بإسناده عن الشعبي: غلط أبو عبد الرحمن، قال: إن معاذاً كان أمةً، ولم يقل إن إبراهيم كان أمة، فأجابه ابن مسعود قال: إن معاذاً كان يعلم الناس الخير، وإن إبراهيم كان مطيعاً لله تعالى، كان إمام هدى تتبع سنته، وتتبع طريقته في معرفة ربه، وفي الدعوة إلى ربه.

فالقرآن الكريم فيه آيات كثيرة تتحدث عن ملة سيدنا إبراهيم، وملة سيدنا إبراهيم شرحت في آيات منها:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً ﴾

2 . أنه أوتي الحجة :

أيها الأخوة الكرام، ومن ملة إبراهيم:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة الأنعام]

ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذه لعلمه، لابد للمؤمن من حد أدنى من الحجة، لأن هذا الدين دين الله، ولأن هذا الدين من عند الله، والله سبحانه وتعالى هو الذي أودع في الإنسان العقل، وهو:

﴿ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾

[سورة الكهف الآية: 1]

فإن لم يملك المؤمن الحجة فمن يملكها إذاً؟ إن لم يملك المؤمن الحجة على أعداء الله من يملكها إذاً؟ من ملة أبينا إبراهيم أنه أوتي الحجة.

3 . أنه كان يتبرأ من كل معصية وكل ذنب :

أيها الأخوة الكرام، ومن ملة أبينا إبراهيم أنه كان يتبرأ من كل معصية، وكل ذنب، وكل شرك.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

[سورة الممتحنة]

من هوي الكفرة حشر معهم، ولا ينفعه عمله شيئاً.

4 . موالاة المؤمنين و البراءة من المشركين :

من ملة أبينا إبراهيم أن توالي المؤمنين، وأن تتبرأ من المشركين، أن توالي الطائعين، وأن تبتعد عن العاصين، من أقام مع المشركين فقد برئت منه ذمة الله، هذا من ملة أبينا إبراهيم.

5 . أنه أوتي الرشد :

ومن ملة أبينا إبراهيم أنه أوتي الرشد، وهذا أعظم عطاء إلهي.

﴿ وَلَقَدْ آَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء]

حجة، ورشد، وطاعة، وأمة، هذه ملامح ملة أبينا إبراهيم.

6 . أنه كشف الله له بعض الحقائق :

ملة أبينا إبراهيم من خصائصها: أن الذي يسير على منهجه ويتبع ملته يكشف الله له بعض الحقائق.

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾

[سورة الأنعام]

7 . الطاعة :

أيها الأخوة الكرام، ملة أبينا إبراهيم الطاعة.

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾

[سورة البقرة الآية: 124]

متى جعله إماماً؟ حينما أتم كلمات الله عز وجل:

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

***

الطاعة الطاعة أيها المؤمنون، المرء يقيّم عند ربه لا بأقواله ولكن بأفعاله، أنا لست عند كلام الحكيم، ولكن عند همه وهمته.

العاقل من كان مستعداً للقاء الله عز وجل قبل أن يأتيه الموت :



أيها الأخوة الكرام، سيدنا إبراهيم عليه السلام اصطفاه الله في الدنيا.

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

[سورة البقرة]

سيدنا إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[سورة البقرة]

ولهذه الآية لفتة رائعة،

﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

فهل الموت بيدنا يا رب؟ كيف تأمرنا ألا نموت إلا ونحن مسلمون؟ وهل الموت بيدنا؟ قال العلماء:

﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

بمعنى أن الموت يأتي فجأة، فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم مستعدون للقاء الله عز وجل، لذلك ورد في الحديث الشريف:

((من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت))

[شعب الإيمان عن أنس]

الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العمل

***

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾

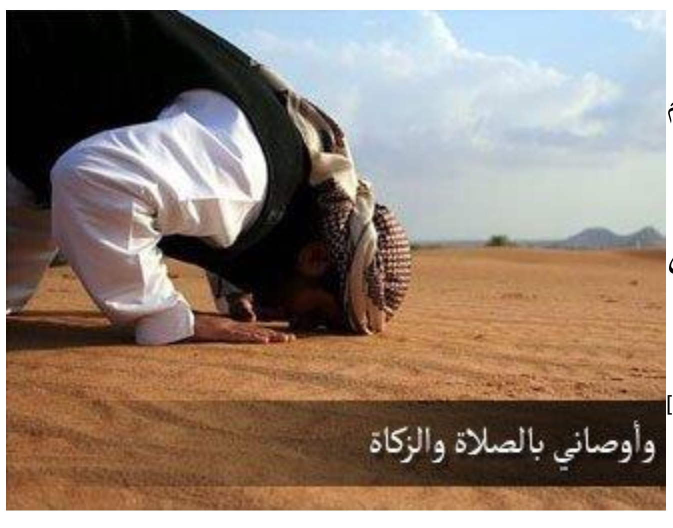
[سورة البقرة الآية: 258]

بيد الله الحياة والموت، بيد الله الرزق، وكلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرب أجلاً.

﴿ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة البقرة]

آية دقيقة تلخص ملة أبينا إبراهيم :



أيها الأخوة الكرام، آية دقيقة تلخص ملة أبينا إبراهيم قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾

[سورة النساء الآية: 125]

الدين كله يضغط بكلمتين.

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾

[سورة مريم الآية: 31]

الصلاة اتصال بالحق، والزكاة إحسان إلى الخلق، وهذه الآية تؤكد هذا المعنى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾

[سورة النساء]

آيات كثيرة كما ترون تأمرنا أن نتبع ملة أبينا إبراهيم، الذي كان مطيعاً لله، كان حنيفاً، معنى حنيفاً أي مائلاً بقلبه إلى الله، مائلاً إلى الله مبتعداً عمن سواه.

لذلك قال العلماء: لا تكون العبادة عبادةً إلا إذا رافقها حب، من أطاع الله ولم يحبه ما عبده، ومن أحبه ولم يطعه ليس عابداً له.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب ثم يتوكل على رب الأرض والسموات :

أيها الأخوة الكرام، ورد في رياض الصالحين عن ابن عباس أيضاً رضي الله عنه قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه والسلام حينما ألقي في النار"، حسبي الله ونعم الوكيل، أي يكفيني الله عز وجل، هو يدافع عني، هو يأخذ بيدي، هو ينصرني، هو يرحمني، حسبي الله ونعم الوكيل.

توكل سيدنا ابراهيم على الله حين ألقي في النار

لذلك ورد في السيرة أن رسول الله ﷺ حكم بين رجلين، فالذي حكم عليه تولى وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال يا هذا:

((إن الله يَلُومُ على العَجْز))

[أخرجه أبو داود عن عوف بن مالك]

هناك فرق بين فقر الكسل وفقر القدر

وهذا درس بليغ للمسلمين جميعاً، التواكل الضعف، التسيب، الإهمال، قال بعض العلماء هذا يؤدي إلى الفقر، ولكنه فقر الكسل لا فقر القدر، فرق كبير بين فقر الكسل وبين فقر القدر، فقر الكسل الإهمال، عدم الإتقان، عدم السعي، عدم التدبير، التواني، التكاسل، التقصير، هذا كله من العجز، قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يَلُومُ على العَجْز ولكن عليكَ بالكَيْس))

[أخرجه أبو داود عن عوف بن مالك]

أي بالتدبير، أن تأخذ بالأسباب ثم تتوكل على رب الأرض والسموات.

أيها الأخوة قال عليه الصلاة والسلام:

((فإذا غَلَبَك أَمر، فقل حَسبيَ الله ونعم الوكيل))

[أخرجه أبو داود عن عوف بن مالك]

لا تقل هذه الكلمة إلا حينما يغلبك أمر، هذا درس لكل المسلمين، يجب أن نأخذ بالأسباب وبعدها نتوكل على رب الأرباب، يجب أن ندبر أمورنا، يجب أن ننظر في عاقبة أمرنا، يجب أن نأخذ بكل الأسباب التي تعيننا على بلوغ أهدافنا، وإلا كنا متواكلين.

فقال ابن عباس رضي الله عنه: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حينما ألقي في النار، متى

قالها؟ حينما ألقي في النار، حينما غُلب على أمره، وقالها محمد ﷺ:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 173]

كما جمع للمسلمين اليوم.

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾

[سورة آل عمران]

وقد ورد في رياض الصالحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

((لَقِيتُ ليلة أُسرِيَ بي إبراهيمَ، فقال لي:

[يا محمدُ]

أَقْرِئْ أُمَّتكَ مني السلامَ وَأخْبِرهم: أَن الجنةَ طَيِّبَةُ التُّربة، عَذْبةُ الماء، وأنها قِيعانٌ، وأَنَّ غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر))

[الترمذي عن ابن مسعود]

هذه الباقيات الصالحات، أن تسبحه، أن تنزهه، أن تمجده، أن تكبره، أن تقول: الله أكبر ونحن في العيد ولاسيما في عيد الأضحى المبارك، نختم صلواتنا بالله أكبر.

من مظاهر تخلف المسلمين أن كلمات الحق فرغت من مضمونها :

أيها الأخوة الكرام ذكرت هذا قبل يومين: من قال: الله أكبر ألف مرة، وعصا ربه، أطاع مخلوقاً وعصا ربه، فهو ما قالها ولا مرة ولو نطق بها ألف مرة، من قال: الله أكبر ألف مرة ولم يقم الإسلام في بيته فكأنه ما قالها ولا مرة، من قال: الله أكبر ألف مرة ورأى أن معصية الله عز وجل أربح له ما قالها ولا مرة.

فيا أيها الأخوة الكرام، من مظاهر تخلف المسلمين أن هذه الكلمات الكبيرة كلمات الحق فرغت من مضمونها،

وأصبحت لا تعني شيئاً، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

8 . أنه كان في أعلى درجات العبودية لله :

أيها الأخوة الكرام، ملة أبينا إبراهيم كان في أعلى درجات العبودية لله.

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾

[سورة الصافات الآية: 102]

أن يذبح الإنسان ابنه.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾

وابنه نبي كريم.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة الصافات]

ماذا تعني هذه القصة التي وردت في كتاب الله؟ تعني أن هذا النبي العظيم حينما تحقق

﴿ إِنِّي أَرَى ﴾

مرات عديدة

﴿ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾

فبادر إلى أمر الله عز وجل ولو كان هذا الأمر فوق طاقة البشر، يعطينا إبراهيم عليه السلام أعلى نموذج لطاعة الله عز وجل:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا

لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة الصافات]

الدرس المستفاد من القصة التالية :

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء إبراهيم ﷺ فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماء، وضع زوجته هناك، ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفا إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل قالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ قالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، قالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا.

وإذا أقمنا أمر الله عز وجل، إذاً لا يضيعنا الله عز وجل، قالت: إذاً لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات وقال:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

[سورة إبراهيم]

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه من شدة العطش، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم ترَ أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا رأت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة وقامت عليه ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.



قال ابن عباس رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فلذلك سَعَى الناس بينهما، فلما أشرفَتْ على المروة سمعتْ صوتاً، فقالت: صَه – تريد نفسها – ثم تسمَّعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندكَ غُواث، فإذا هي بالمَلَكِ عند موضِع زمزم، فبحث بعقَبِهِ أو قال: بجناحه حتى ظهر الماءُ، تُحوِّضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تَغْرِفُ من الماء في سقائها، وهو يفورُ بعدما تغرف بقدر ما تغرف،

قال ابن عباس: قال النبيُّ ﷺ يَرْحَمُ الله أمَّ إسماعيل، لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرِفْ من الماء لكانت زمزمُ عيناً مَعِيناً، قال: فشربتْ وأرضعتْ ولدها، فقال لها المَلك: لا تخافوا الضيعةَ، فإن هاهنا بيتاً لله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإنّ الله لا يُضِيع أهله.

ونحن في أمس الحاجة إلى هذا القول: إن الله لا يضيعنا، ولو أن العالم ائتمر علينا، إن الله لا يضيعنا، ولو أن هناك هجمة شرسة تنصب على المسلمين في كل بقاع الأرض، إن الله لا يضيعنا، بشرط أن نكون معه، بشرط أن نتبع أمره، بشرط أن نستقيم على أمره، بشرط أن نخلص له، بشرط أن نقبل عليه، وقال الله:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾

[سورة المائدة الآية: 12]

أيها الأخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق و البشر.

الأضحية و مشروعيتها :



أيها الأخوة الكرام، الأضحية شعيرة من شعائر المسلمين في عيد الأضحى المبارك، مشروعيتها أن الإمام أحمد وابن ماجة رويا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

((من وجد سَعَة فلم يضح فلا يقربن مصلانا))

[أحمد ابن ماجه عن أبي هريرة]

ولقد استنبط أبو حنيفة رحمه الله تعالى من هذا الحديث أنها واجبة، فمثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير الواجب، وقال غير الأحناف: إنها سنة غير مؤكدة، ولهم أدلتهم، فهي واجبة مرة في كل عام على المسلم الحر، البالغ، العاقل، المقيم، الموسر، وأما معنى الموسر فللفقهاء تعريف من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

((ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله عز وجل من هراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً))

[الترمذي عن عائشة]

وعن أنس رضي الله عنه قال:

((ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين فرأيته واضعاً قدميه على صفاحهما سمى وكبّر))

[متفق عليه عن أنس]

حكمة الأضحية :

حكمتها: أن المسلم الموسر يعبر بها عن شكره لله تعالى على نعمه المتعددة، منها نعمة الهدى، ومنها نعمة البقاء من عام إلى عام.

((أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله))

[أخرجه الطبراني عن أبي بكرة]

وعلى نعمة السلامة والصحة، وعلى نعمة التوسعة في الرزق، وهي تكفير لما وقع من الذنوب وتوسعة على أسرة المضحي وأقربائه، وأصدقائه، وجيرانه، وفقراء المسلمين.

شروط وجوبها :



شروط وجوبها: اليسار، الغنى، والموسر هو مالك نصاب الزكاة زائداً عن حاجاته الأساسية، النصاب الأساسي حده الأدنى سبعة آلاف ليرة، وحده الأقصى أربعون ألفاً، الموسر هو مالك نصاب الزكاة زائداً عن حاجاته الأساسية، أو هو لا يحتاج إلى ثمنها أيام العيد، أو لا يحتاج إلى ثمنها خلال العام على اختلاف بين المذاهب في تحديد معنى الموسر.

ينبغي أن يكون الحيوان المضحى به سليماً من العيوب الفاحشة، التي لا تؤدي إلى نقص في لحم الذبيحة، أو تضر بآكلها، فلا يجوز أن نضحي بالدابة البين مرضها، ولا العوراء، ولا العرجاء، ولا العجفاء، ولا الجرباء، ويستحب في الأضحية أسمنها وأحسنها لقوله ﷺ:

((عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم))

[رواه الديلمي بسند ضعيف عن أبي هريرة]

وكان ﷺ يضحي بالكبش الأبيض الأقرن.

وقت نحر الأضحية :

وقت نحر الأضحية بعد صلاة عيد الأضحى، وحتى قبيل غروب شمس اليوم الثالث من أيام العيد، على أن أفضل الأوقات هو اليوم الأول قبل زوال الشمس، ويكره تنزيهاً الذبح ليلاً.

ولا تصح الأضحية إلا من النعم، من إبل، وبقر، وغنم، ومن ضأن، ومعز، بشرط أن يتم الضأن ستة أشهر والمعز سنة، ويجزئ المسلم أن يضحي بشاة عنه وعن أهل بيته المقيمين معه، والذين ينفق عليهم، وهم جميعاً مشتركون بالأجر.

مندوبات الأضحية :

ومن مندوبات الأضحية: أن يتوجه المضحي نحو القبلة، وأن يباشر الذبح بنفسه إن قدر عليه، وأن يقول قبل الذبح: بسم الله، والله أكبر، اللهم هذا منك وإليك، اللهم تقبل مني ومن أهلي بيتي، وله أن يوكل غيره، وعندها يستحب أن يحضر أضحيته فإنه يغفر له عند أول قطرة من دمها.

ويستحب أن يوزعها أثلاثاً فيأكل هو وأهل بيته الثلث، ويهدي لأقربائه وأصدقائه وجيرانه الثلث، ويتصدق على الفقراء بالثلث الأخير.

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة الحج الآية : 36-37]

أيها الأخوة الكرام، العيد عند المسلمين أيام فرح، أيام تواصل، أيام بر، أيام زيارات الأهل والأقارب، أيام ذكر الله عز وجل، أيام التكبير، فافعلوا هذا في عيد الأضحى فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿ لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾

[سورة الكهف]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك .

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسينا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسينا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم رب العالمين نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، ومن الخوف إلا منك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء اللهم رب العالمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاة المسلمين إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

وكل عام وأنتم بألف خير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {08-14}

خطبة عيد الفطر السعيد لعام 1416هـ - 1996م : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-03-1996

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر.

وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: قال تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾

[سورة البقرة]

وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ: وقد تمت عدة رمضان.

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ: وها أنتم تكبرون الله، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول:

تكبروا الله على ما هداكم، لا تقليداً، تقولون الله أكبر لما وصلتم إليه من الهدى، لما أعانكم عليه الله من صيام رمضان، ومن قيام رمضان ومن غض البصر، ومن حفظ اللسان.

الله أكبر كلمة يقولها الصائم حينما يفطر شكراً لله عز وجل على ما أنعم الله عليه من نعمة الهدى، لكن . أيها الإخوة . الكلمات التي يرددها المسلمون في أعيادهم، هذه الكلمات إما أن تكون ذات مضمون، بها يرقون، وإما أن تفرق من مضمونها، عندئذ تُردد ترداداً عشوائياً أجوفَ لا معنى له.

أيها الإخوة الكرام: حينما تطيع إنساناً وتعصي الله ما قلت الله أكبر، ولا مرة، ولو رددتها بلسانك ألف مرة، لأنك في الحقيقة أطعت القوي، وقد بدا لك أن طاعة هذا الإنسان أولى لك من أن تطيع الله، فإذا أطاع الإنسان مخلوقاً كائناً من كان، وعصى خالقه ما قال الله أكبر ولا مرة، ولو رددها بلسانه ألف مرة.

المسلمون قالوا: الله أكبر، فتحوا بها مشارق الأرض ومغاربها، وكانوا لا يزيدون عن عشرة آلاف صحابي، بينما المسلمون اليوم مليار ومئتا مليون، وليست كلمتهم هي العليا، وهم يقولون الله أكبر، إنهم إن قالوها بألسنتهم، ولم تؤكدها

أفعالهم فهم كأنهم ما قالوها.

أيها الإخوة الكرام: بماذا جاء الأنبياء ؟.. الأنبياء جاؤوا بالكلمة الطيبة، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)﴾

[سورة إبراهيم]

الكلمة الطيبة المستندة إلى واقع الكلمة الطيبة المستندة إلى فطرة، الكلمة الطيبة مستندة إلى نقل صحيح، الكلمة الطيبة مستندة إلى منطق العقل والنقل والواقع والفطرة أساس الكلمة الطيبة، ثم إنها مطبقة بإخلاص، فكلمة تتوافق مع العقل، ومع النقل، ومع الواقع، ومع الفطرة مطبقة بإخلاص، هذه الكلمة يمكن أن تفعل في الناس فعل السحر قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)﴾

[سورة إبراهيم]

أيها الإخوة الكرام: الإنسان العاقل لا يجامل نفسه، لا يتملقها، لا يدعها في غفلة وفي جهل، لا يكون كالنعامة يغرس رأسه في الرمال لئلا يرى عدوه، كلمة الله أكبر، كلمة الإسلام، يقولها المصلي في صلاته ليشعر أن الله الذي يتجه إليه أكبر من كل شيء آخر، فلا يلتفت إلى سواه.

يقولها المجاهد في الحرب، حينما يقول الله أكبر، الله أكبر من عدوه مهما علا واستكبر، يقولها الذي يفطر بعد رمضان وقد هداه الله إليه وإذا وصلت إلى الله وصلت إلى كل شيء.. ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء..

أيها الإخوة الكرام: تخلف المسلمين يعني أن تنفصل هذه العبادات، وتلك الكلمات عن واقعهم، أنتم قلتم الله أكبر، ورفعتم بها أصواتكم، وطبقتم بها سنة نبيكم ولكن دققوا في أعمالكم، وفي بيعكم وشرائكم، وفي علاقاتكم الأسرية وفي علاقاتكم بمن حولكم، ومع من فوقكم، ومع من دونكم، إن كان في هذه العلاقات مجاملة لإنسان على حساب دينك، أو إرضاء لمخلوق على حساب طاعتك لله، فاعلم علم اليقين دون مجاملة، ودون مواربة وكن صريحاً، والحقيقة المرة أيها الإخوة أفضل بكثير من الوهم المريح إن تطرق لإنسان أن يطيع زيداً أو عبيداً، أو أن يخضع لفلان أو علان أو أن يرضي زوجته في معصية ربه، والشيء الذي لا يمكن أن يقال لقد رأى طاعتها أكبر من طاعة الله، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددها بلسانه ألف مرة.

ثم إن الله سبحانه وتعالى جعل عيدي الفطر والأضحى عقب عبادتين ففي عيد الفطر يقول الله عز جل: وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ..

يعني أنتم في رمضان وصلتم إلى الله، وذقتم طعم القرب منه، وحلاوة المناجاة، وروعة الصيام، وجمال القيام، أنتم وصلتم إلى الله فحافظوا على ما وصلتم إليه.

أيها الإخوة الكرام: أناس كثيرون يصلون إلى القمم ولكنهم لا يستطيعون أن يمكثوا فيها والبطولة لا أن تصل إلى قمة الجبل، بل أن تبقى في القمة، وكل إنجاز حققتموه في رمضان، الآن تبدأ بطولتكم، بطولتكم أن تحافظوا على هذا الإنجاز، غضضتم أبصاركم في رمضان، فالبطولة أن تبقى هذه الطاعة مستمرة إلى أن تلقوا الواحد

الديان، ضبطتم ألسنتكم في رمضان، البطولة أن تتابعوا هذا الضبط إلى نهاية الدوران.

أيها الإخوة الكرام: صعود وهبوط، صعود وهبوط المحصلة صفر، لكن رمضان قفزة نوعية مستمرة، وقفزة مستمرة، إنك بهذا تتابع الترقي، بينما بعض الناس يدافعون التدني، والشيء الذي يلفت النظر في كتاب الله أن آيات الحج، وفي سورة الحج، يقول الله عز وجل:

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)﴾

[سورة الحج]

لعل النبي ﷺ استنبط من هاتين الآيتين الكريمتين تكبيرات العيدين.

أيها الإخوة الكرام: لا يليق بالمؤمن أن يقول كلاماً لا معنى له، لا يليق بالمؤمن أن يقول كلاماً هو في واد وهذا الكلام في واد آخر.

أيها الإخوة الكرام: نحن في رمضان قمنا بعبادة شعائرية، وفي الحج نقوم بعبادة شعائرية والصلاة عبادة شعائرية، ولكن الأخطر من هذا كله العبادات التعاملية.

لا يخفى عليكم أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)﴾

[سورة العنكبوت]

لا يخفى عليكم أن الحاج حينما يحج بيت الله الحرام، بمال حرام ويقول لبيك اللهم لبيك، يناديه مناد في السماء يقول: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

حينما ينفق الإنسان ماله، وليس منضبطاً بشرع الله ولا منهجه، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (53)﴾

[سورة التوبة آية 53]

حينما يصوم الإنسان رمضان ولا يتقي فيه الواحد الديان: رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش..

أيها الإخوة الكرام: العبادات الشعائرية يوم في جائزة لعباداتك التعاملية، بقدر انضباطك بعباداتك التعاملية، تلقى ثمرة يانعة في عباداتك الشعائرية.

الإسلام منهج متكامل، لا يمكن أن تأخذ جزء منه فتقطف ثماره، إن هذا منهج متكامل، إن لم تأخذها كله لا تستطيع أن تصل إلى ثمرة منه.

أيها الإخوة الكرام: كل ما في الأمر أن المؤمن يشمر بعد رمضان ليتابع السير إلى الله، يشمر بعد رمضان ليحافظ على منجزات رمضان، يشمر بعد رمضان فلعله فاته أن يكون في المستوى اللائق في رمضان.

الله سبحانه وتعالى مع الإنسان في كل زمان ومكان، معه في كل شهور العام، معه في أي مكان حل به، فالله سبحانه وتعالى جعل رمضان شهراً تطيعه فيه من أجل أن تذوق حلاوة القرب، ليشيع هذا الاتصال في كل أشهر العام.
جعل البيت الحرام مكاناً تصفوا فيه النفس، من أجل أن يشيع هذا الصفاء في كل مكان، اصطفى النبي العدنان لتسعد بدعوته وبسنته إلى يوم القيامة.

أيها الإخوة الكرام: نحن في العيد، ونحن في يوم الجائزة، قال عليه الصلاة والسلام:

" إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة في أفواه الطريق، فنادوا يا معشر المسلمين، اغدوا إلى رب كريم رحيم، يمن بالخير ويثيب عليه الجزيل لقد أُمرتم بقيام الليل فقمتم، وأُمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا العيد، نادى منادٍ من السماء ارجعوا إلى منازلكم راشدين، فقد غفر لكم ذنوبكم كلها، ويسمى ذلك اليوم في السماء بيوم الجائزة ".

نحن في يوم الجائزة، فطوبى لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً، طوبى لمن قام رمضان إيماناً واحتساباً، طوبى لمن أنفق ماله في رمضان إيماناً واحتساباً، طوبى لمن قرأ القرآن في رمضان إيماناً واحتساباً، فهذا اليوم يوم الجائزة.

أيها الإخوة الكرام: كان ﷺ إذا استهل شهر رمضان استقبله بوجهه ثم يقول:

((اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ والعافية المجللة، ودفع الأسقام، والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن))

كان يدعو ويقول:

((اللهم سلمنا لرمضان، وسلمه لنا، وتسلمه منا متقبلاً يا رب العالمين))

أيها الإخوة الكرام: شيء آخر في العيد، العيد مناسبات لصلة الرحم، وصلة الرحم في الإسلام نوع من التكافل الاجتماعي، فكل مسلم مكلف في العيد أن يتفقد رحمه، مطلق أقربائه من جهة الأب أو من جهة الأم، الأقرباء من أية جهة كانوا هم من الأرحام، هذا ما استقر عليه رأي العلماء، فأنت في العيد تصل رحمك، وهذه الصلة على مستويات ثلاثة:

المستوى الأول: أن تزورهم، وأن تهنئهم في العيد.

والمستوى الثاني: أن تتفقد أحوالهم فما شُرع لنا أن نزور أقاربنا في رمضان كي نسلم عليهم فقط، صلة الأرحام تعني تفقد أحوالهم، والتبصر في معيشتهم، فإن كانوا بحاجة إلى مساعدة، إلى معونة، فبادر إلى ذلك العمل الطيب، فالله سبحانه وتعالى يثيب عليه الجزيل.

المستوى الثالث: أن تدلهم على الله، أن تأخذ بيدهم، أن تبين لهم، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي وأحمد والدرامي]

ولأن الدعوة إلى الله عز وجل في القرآن الكريم فرض عين على كل مسلم، بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

[سورة العصر]

التواصي بالحق أحد أركان النجاة الأربعة، لا تنجو إلا إذا تواصيت بالحق، والإيمان لا يستقر في نفس الإنسان

إلا ويعبر عن ذاته بعمل صالح، ومن أجلِّ الأعمال الصالحة كلمة حق تلقيها على أخ في الله.
أيها الإخوة الكرام: عَن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا

((إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ "))

[أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد والدرامي]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس شيء أطيع الله تعالى فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع))

يعني من أجل الأعمال في الإسلام أن تتفقد أقرباءك، من أجل هذه الأعمال أن توجههم إلى الله عز وجل.

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((أحب الأعمال إلى الله تعالى إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم))

أيها الإخوة الكرام: من علائم تخلف المسلمين أنهم لا يعرفون بعضهم بعضاً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ))

[أخرجه والترمذي وأحمد]

نبغي في العيد أن تتعرف على أقربائك الصغار، أولاد أقربائك الكبار أن تتعرف على أسمائهم، وأحوالهم، ودراستهم، وأوضاعهم، من أجل أن تزداد المعرفة، ومن أجل أن يُبنى على هذه المعرفة كلمة حق تلقيها في أسماعهم، أو معونة تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل.

أيها الإخوة الكرام: العيد مناسبة سنوية لصلة الأرحام، والعيد مناسبة سنوية للأعمال الصالحة، فكم من عمل

صالح ملأ البيت فرحاً وسروراً، كم من عمل صالح رسم على وجوه الصغار البسمة والضياء، كم من عمل صالح فرجت به كرب المكروبين، وضيق المتضايقين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..))

[أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة وأحمد والدرامي]

أيها الإخوة الكرام: شيء آخر: هذه اللقاءات في العيد ينبغي أن تُستثمر في ذكر الله عز وجل، فذكر الله هو من أجل الأعمال: عَنْ أَبِي بَحْرِيَّةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِي اللَّه عَنْهم قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى))

[أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد ومالك]

فأنتم في العيد تصلون أرحامكم زيارة، وتحسنون إلى ضعفائكم إحساناً وتذكرون بالله تذكيراً، عندئذ يغدوا العيد كما أراده الله عودة إلى الله وإقبالاً عليه، واصطلاحاً معه، وشكراً لله على نعمة الصيام والقيام التي منحنا إياها. أيها الإخوة الكرام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني..

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة الكرام:

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

((ليس كل مصل يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي، وعزتي وجلالي، إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم عليه فأبره، أكلؤه بقربي، وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس لا يُمس ثمرها، ولا يتغير حالها))

أيها الإخوة الكرام: ورد في الأثر القدسي:

" عبدي خلقت لك السماوات والأرض لم أعي بخلقهن، أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين، لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك، فلأسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً.

أنت تريد وأنا أريد، فإن سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد ".

قال: يا رب أي عبادك أحب إليك، قال أحب عبادي إلي تقي القلب نقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني، وأحب من أحبني وأحببني إلى خلقي.

قال: يا رب أنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك، قال ذكرهم بآلائي، ونعمائي، وبلائي".

ذكرهم بآلائي كي يعظموني، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني، وذكرهم ببلائي كي يخافوني.

وفي الأثر القدسي: " إني والأنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى

العباد نازل، وشرُّهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصايب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفوا، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها ".

أيها الإخوة الكرام: لو أن إنساناً قصر في رمضان، لو أن إنسان لهى في رمضان، ماذا يفعل، هل ييأس ؟.. ليبدأ بشهر شوال، المؤمن يمكن أن يجعل من كل أشهر العام رمضان، فالله سبحانه وتعالى مع كل إنسان، في كل زمان وفي كل مكان، وبابه مفتوح لكل إنسان.

" فَإِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جَلَّ وَعَزَّ فَقَالَ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ".

[أخرجه أحمد]

أيها الإخوة الكرام:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

((عبدي لو جئتني بملء السماوات والأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي))

((لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمآن الوارد))

أيها الإخوة الكرام: جرت العادة أن نلتقي ثاني أيام العيد في القاعة الجنوبية، فكل من إخوتنا الكرام يهنئ إخوانه بعيد الفطر السعيد، وهذه الزيارة تغنيكم عن كثرة الزيارات في أيام العيد، فالمعايدة في القاعة الشرقية تبدأ من الساعة العاشرة وحتى الثانية، ومن الساعة الخامسة وحتى العاشرة، ففي هاذين الوقتين يمكن أن تلتقي إخوانك الكرام، وأن تهنئهم بالعيد، وأن تغنيك هذه المعايدة عن زيارات كثيرة تستهلك بها الوقت والجهد، ثم إن الإخوة الكرام تمنوا علي أن يأخذوا فرصة بعد العيد يستجمون بها، فعطلت الدروس بعد العيد، درس الجمعة والسبت

والأحد والاثنين، ونستأنف الدروس إن شاء الله تعالى في يوم الجمعة واحد آذار، وكل عام وأنتم بخير، والحمد لله رب العالمين.

الدعاء:

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت، لك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك اللهم هب لنا علاً صالحاً يقربنا إليك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارض عنا، اقسم لنا من خشيتك، ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، مولانا رب العالمين. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك، ومن الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء.

اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب.

اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر خلقك ونبتلى بحمد من أعطى وذم من منع، وأنت من فوقهم ولي العطاء وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء.

اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب

وترضى إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {09-14}

خطبة عيد الأضحى المبارك لعام 1415هـ - 1995م : خ1 - الأخوة بين المؤمنين ، خ2 - المؤاخاة بين الصحابة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1995-05-10

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الاولى:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

الحمد لله رب العالمين، يا ربي اكتب الصحة والسلامة لحجاج بيتك الحرام، الذين شهدوا لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، جاؤوك شعثاً غبراً.

﴿ **مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾

[سورة الحج: 27]



وقد خلفوا رواءهم أوطانهم وخلانهم، وأعمالهم وحظوظهم، لا يحدوهم لرحلتهم إليك إلا الطمع في مغفرتك، والرغبة في رحمتك، والفوز في رضوانك، وقد أخبرهم نبيك ﷺ أنهم وفدك إليك، إن دعوك أجبتهم، وإن استغفروك غفرت لهم، ووعدتهم على لسان نبيك أيضاً الذي لا ينطق إلا بالحق أنه:

((من حج لله عز وجل فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجع كيوم وَلَدَتْهُ أمُّه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

ياربي اغفر لهم وراحمهم، وعافيهم وأعفو عنهم، ولقهم الأمن والبشرى، والكرامة والزلفة، ولقنا وإياهم حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق و البشر، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وهدى العباد إلى سبيل الرشاد.

من معاني العيد :

1 . الأخوة بين المؤمنين :

أيها الأخوة المؤمنون، في العيد معانٍ كثيرة، من هذه المعاني الكثيرة الأخوة بين المؤمنين، لا تتجلى الأخوة بين المؤمنين في يوم أشد مما تتجلى في أيام العيد فالله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

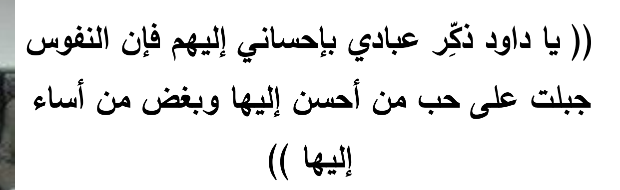
[سورة الأعراف: 179]

أي من خصائص واحدة، فطركم فطرة واحدة، جبلكم جبلة واحدة.

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم: 30]

في الحديث الشريف:



((يا داود ذكِّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها))

[حديث قدسي رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

أيها الأخوة الكرام، كما أن الله سبحانه وتعالى ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا، وما أمرنا أن نتوب إلا ليتوب علينا، وما خلقنا من نفس واحدة إلا لنتعاون، ونتحابب، ونتزاور، ونتباذل، ورد في الحديث القدسي:

((وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ والمتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبييون يوم القيامة))

[أخرجه ابن حبان عن معاذ بن جبل]

المعنى الأول من معاني العيد الأخوة بين المؤمنين، لا ينبغي أن يبقى بين المؤمنين خصومة، ولا شقاق، ولا تدابر، ولا هجران، هذا العيد فيه عودة إلى منهج الله، فيه عودة إلى تطبيق ما أمر الله، فيه عودة إلى صلة الرحم.

الأخوة الإنسانية :



أيها الأخوة الكرام، أراد الله سبحانه وتعالى أن نجتمع، لأنه كما يقول بعض العلماء: قهرنا أن نجتمع، فما منا واحد إلا وهو في حاجة أخيه، يتقن حاجة، وهو في أمس الحاجة إلى آلاف حاجات، هذه مشيئة الله، مشيئة الله أن نجتمع، لذلك ورد في الحديث الصحيح:

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

وفي رواية:

((وحتى يكره لها ما يكره لنفسه))

وإذا أردنا أن نفهم هذا الحديث الشريف الصحيح وفق الأصول الصحيحة فإن الأخوة في هذا الحديث لم تقيد، وردت مطلقة، وحيثما وردت الأخوة مطلقة فإنما تعني أوسع دائرة إنها الأخوة الإنسانية.

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

النبي عليه الصلاة والسلام علق صحة الإيمان على رأي، وعلق كمال الإيمان على رأي بهذه المودة، وهذه المحبة، وهذا الوئام، وهذا التواصل الذي يتجسد بأن أحدكم لا يؤمن إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه، وينبغي أن نضيف الرواية التالية:

((وحتى يكره لها ما يكره لنفسه))

فإذا أحببت لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك وإذا كرهت له ما تكره لنفسك فأنت مؤمن ورب الكعبة.

الأخوة بين المؤمنين أبدية سرمدية :

أيها الأخوة الكرام، الآية الكريمة التي تقول:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

هذه الآية وقفوا عندها العلماء وقفة طويلة، الأخوة بين المؤمنين أبدية سرمدية، كما أن أخوة النسب أبدية، الأخ الشقيق أخ شقيق شئت أم أبيت، أحببت أم كرهت، أخ شقيق سابقاً واليوم لاحقاً، والنبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة أكد هذا المعنى، والآية الكريمة تؤكد هذا المعنى حينما تشبه الأخوة بين المؤمنين بأخوة النسب، كيف أن أخوة النسب حتمية سرمدية أبدية، كذلك أخوة الدين.

العلماء يقولون: التركيب الاسمي يفيد الثبات والاستمرار بينما التركيب الفعلي يفيد الحدوث والانقطاع فهذه الآية جاءت على صيغة التركيب الاسمي، مبتدأ وخبر:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

وجاءت إن لتؤكد إسناد الخبر إلى المبتدأ، وجاءت إنما أنه ما لم تشعر لانتمائك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً.


أصل الأخوة المودة والرحمة

أيها الأخوة الكرام، هذه بعض المعاني المستفادة من هذه الآية:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

الأصل أن تكون الأخوة المودة والرحمة والتعاون والتآزر بين المؤمنين، وإن كان على خلاف ذلك فهذه حالة مرضية ينبغي أن تعالج.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

أمر في القرآن الكريم، وكل أمر يقتضي الوجوب، يتوهم بعض المتوهمين أن الفرائض الخمسة هي التي تقتضي الوجوب، لكن علماء الأصول يقولون:

إن أي أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب:

﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

أيها الأخوة الكرام، لا ينبغي أن يبقى بين المؤمنين خصومة، وهذا العيد هو المناسبة الأولى للتقارب، والتواصل، والتراحم، والتعاون، والتزاور، والتبادل، والتجالس.

((وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ والمتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبييون يوم القيامة))

[أخرجه ابن حبان عن معاذ بن جبل]

النهي عن كل ما يضعضع الأخوة بين المؤمنين :

أيها الأخوة الكرام، انطلاقاً من هذه الآيات التي وردت في القرآن الكريم، والتي تؤكد الأخوة بين المؤمنين النبي عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى، النبي عليه الصلاة والسلام الذي تعد أحاديثه الصحيحة وحياً

غير متلو، انطلاقاً من هاتين الآيتين الكريمتين النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن كل ما يضعضع هذه الأخوة، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((المسلم أخو المسلم، لا يخونُه، ولا يكذِبُهُ، ولا يَخْذُلُه، ولا يظلمه، ولا يحقره، ولا يسلمه، كلُّ المسلم على المسلم حرام: عِرْضُهُ، ومالُه، ودمُه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

ينبغي ألا تأخذ مال أخيك إلا عن طيب نفس منه، من أجل أن تمتن هذه الروابط، وكم من أسر تفككت، وكم من علاقات اجتماعية انفصمت بسبب أكل المال الحرام.

((كلُّ المسلم على المسلم حرام: عِرْضُهُ، ومالُه، ودمُه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

لذلك قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة: 188]

في الآية لفتة رائعة، لم يسمِ الله عز وجل المال الذي تأكله مال أخيك، لم يقل ولا تأكلوا أموالكم إخوانكم، لم يقل لا تأكلوا أموالكم إخوتكم، قال:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 188]

هذا المال الذي هو مال أخيك هو في الحقيقة مالك، من زاوية واحدة، هذه الزاوية أنه يجب أن تحافظ عليه فلأن تمتنع عن أكله من باب أولى، من باب أولى أن تمتنع عن أكله إذا كنت مكلفاً في نص الآية الكريمة أن تحافظ عليه.

((كلُّ المسلم على المسلم حرام: عِرْضُهُ، ومالُه، ودمُه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

أما عرضه سمعته، العرض في اللغة موقع المدح والذم في الإنسان، فإذا طبقنا هذا الحديث الشريف:

((المسلم أخو المسلم، لا يخونُه، ولا يكذِبُهُ، ولا يَخْذُلُه، ولا يظلمه، ولا يحقره، ولا يسلمه، كلُّ المسلم على المسلم حرام: عِرْضُهُ، ومالُه، ودمُه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((بحسب امرئ من الشر أَن يحقِرَ أخاه المسلم))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

يكفيك شراً، يكفيك إثماً، تكفيك معصية أن تحقر أخاك المسلم، انطلاقاً من قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات: 10]

نهى النبي ﷺ عن كل شيء يضعضع هذه الأخوة، عن كل شيء يفصم عُرى هذه الأخوة، عن كل شيء يضعف هذه الأخوة.

وصف لمجتمع الكفار :

الله ﷻ وصف مجتمع الكفار بقوله تعالى:

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾

[سورة الحشر : 14]

المعنى المخالف الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمنون تراهم جميعاً وقلوبهم جميعاً.

أيها الأخوة الكرام، لذلك نهى النبي ﷺ أيضاً عن أية علاقة تفصم هذه الأخوة قال:

((لا تحاسدوا))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

من الحسد أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك من أجل أن تصل إليك، هذا هو الحسد، وهناك مستوى أشد إثماً، والحسد أيضاً أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك دون أن تصل إليك، من أجل أن تشمت به، والمعنى الثالث أن تسعى بجهدك من أجل أن تزيل عن أخيك النعمة، أول مستوى أن تتمنى، لا تفعل شيئاً، تتمنى أن تزول النعمة عن أخيك كي تصير إليك، المعنى الثاني تتمنى أن تزول عن أخيك دون أن تصل إليك، المعنى الأعظم، المعنى الأكبر أن تسعى كي تزيل النعمة عن أخيك، إلا أن أخاك إن حصّل شيئاً من خير الآخرة، وتمنيت أن يكون لك مثل هذا الخير هذه هي الغبطة التي لا شيء عليها، قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تحاسدوا))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

لا تباغضوا

وقال عليه الصلاة والسلام:

((لا تَنَاجَشُوا، لا تَباغَضُوا))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

التناجش أن تبيع على بيع أخيك، أن تبيع بيعاً شكلياً كي تضر أخاك في بيعه.

((لا تحاسدوا، لا تَنَاجَشُوا، لا تَباغَضُوا، ولا تدابَرُوا))

[رواه مسلم عن أنس بن مالك]

لا تحاسدوا واضحة، لا تناجشوا لا تبع على بيعه، لا تبع بيعاً خلبياً من أجل أن توقع الضرر به، لا تشتري شراءً خلبياً كي توقع الأذى به، هذا هو التناجش.

((لا تَباغَضُوا))

البغض شعور قلبي كيف ينهى النبي عنه؟ قال: شرح الحديث:

((لا تَباغَضُوا))

بمعنى لا تفعلوا فعلاً يحملكم هذا الفعل على أن تباغضوا، لا تعمل عملاً يبغضك الناس من أجله.

((لا تَباغَضُوا))

ولا تعمل عملاً يبتعد الناس عنك، اشمئزازاً منك.

((لا تحاسدوا، لا تَنَاجَشُوا، لا تَباغَضُوا، ولا تدابَرُوا، وكونوا عبادَ الله إخوانا))

التحريش بين المؤمنين عمل الشيطان الأول :



أيها الأخوة الكرام، الشيطان يئس أن يعبد غير الله في بلاد الله، قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم))

[مسلم عن جابر]

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي، أما أني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً ولكن شهوة خفية، وأعمال لغير الله))

[ورد في الأثر]

أن يعبد الصنم بعد ظهور الإسلام هذا من مستحيل.

((إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي – بماذا رضي؟ – قال عليه الصلاة والسلام: ولكن رضي التحريش بين المؤمنين))

[مسلم عن جابر]

يكاد يكون عمل الشيطان الأول التحريش بين المؤمنين، من أجل التدابر، من أجل التباغض، من أجل التحاسد، من أجل التقاطع.

لذلك هل تصدقون أيها الأخوة أن النبي ﷺ عدّ فساد ذات البين حالقة لا لشعر الرأس ولكنها حالقة للدين، قال عليه الصلاة والسلام:

((إياكم وفساد ذات البين، فإنها الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين))

[الترمذي عن أبي هريرة]

يمكن أن يتخلى الإنسان عن إسلامه، وعن دينه، وأن يرتكب الكبائر من أجل خصومة بينه وبين أخيه، فأية خصومة إذا استشرت، وتفاقمت، وتفجرت، وتشعبت، ربما أودت بصاحبها إلى الهلاك.

أيها الأخوة الكرام، قوة المؤمنين في اجتماعهم، في تناصرهم، في تعاونهم، في رأب الصدع فيما بينهم، في لمّ شملهم.

الأسباب التي تمتن الأواصر بين المؤمنين :

1 . إطعام الطعام :

أيها الأخوة الكرام، كل شيء يضعضع الأخوة نهى النبي عنه، وكل شيء يفصمها نهى النبي عنه، لكن النبي ﷺ أمر بكل ما يمتنها، بكل ما يقويها، بكل ما يدعمها، بكل ما ينميها، قال عليه الصلاة والسلام بعد أن سأله سائل من أصحابه يا رسول الله:

((أيُّ الإسلامِ خيرٌ ؟ قال:' تُطعِمُ الطعامَ، – إطعام الطعام يسبب المودة بين الناس – تُطعِمُ الطعامَ، وتَقْرَأُ

السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعرِف))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

2 . إفشاء السلام :



إفشاء السلام أحد الأسباب التي تمتن الأواصر بين المؤمنين، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أفْشُوا السلام، وأطعموا الطعام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنةَ بسلام))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن سلام]

وفي حديث آخر:

((أفشوا السلام تسلموا))

[أخرجه أبو يعلى والإمام أحمد عن البراء بن عازب]

هذه واحدة إفشاء السلام يمتن العلاقة بين المؤمنين.

3 . عيادة المريض :


عيادة المريض واجب إسلامي

شيء آخر أمر به النبي عليه الصلاة والسلام عيادة المريض، عيادة المريض ورد فيها حديث قدسي.

((إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول يومَ القيامة: يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني، قال: يارب كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

أي أنك إذا زرت مريضاً هذه الزيارة تبعث في قلبك السرور لماذا؟ لأن هذا المريض منكسر إلى الله، تائب إلى الله، مقبل على الله، فالله سبحانه وتعالى حينما سلبه الصحة لحين عوضه من أنواره ومن السكينة الأشياء الكثيرة، إنك إن زرت مريضاً مؤمناً تشعر بالراحة.

((أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

عيادة المريض واجب إسلامي، عيادة المريض تمتن العلاقة بين المؤمنين.

4 . تلبية الدعوة :

شيء آخر: النبي ﷺ يقول: "من دعي ولم يجب فقد عصى أبا القاسم "

من دعاك وجب حقه عليك، تلبية الدعوة تمتن أواصر المودة والمحبة، لكن أهل الدنيا يلبون دعوة الأقوياء والأغنياء، ويعرضون عن دعوة الفقراء والمساكين، تلبية دعوة الفقير والمسكين من عمل الآخرة، وتلبية دعوة الغني القوي من عمل الدنيا، فالنبي صلى الله

تلبية الدعوة تزيد أواصر القربى

عليه وسلم حينما أمرنا أن نلبي الدعوة أمرنا أن نلبي أي دعوة، ورد في الحديث الشريف:

((لو دُعيتُ إلى كُراَعٍ في الغميم لأجبت))

[البخاري عن أبي هريرة]

الغميم خارج المدينة، مكان في ظاهرها، والكراع أقل طعام يقدم للضيف، أي قوائم الخروف، فتلبية الدعوة تزيد أواصر القربى، وإفشاء السلام يزيد أواصر القربى، وعيادة المريض تزيد أواصر القربى.

5 . الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

أيها الأخوة الكرام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الفريضة السادسة، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[سورة هود: 117]

وفي الآية لفتة رائعة، لم يقل: صالحون، لو كانوا صالحين أهلكهم، لماذا؟ لأنهم تقاعسوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾

[سورة المائدة: 79]

هؤلاء بنو إسرائيل، أهلكهم الله عز وجل لأنهم:

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾

[سورة المائدة: 79]

هذه المجالات وهذه النماذج من الأشياء المبنية على إلغاء النصح، وإلغاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا هو سبب البلاء.

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

[سورة الأنفال: 25]

ورد قي الأثر أن الله عز وجل أرسل ملائكة ليهلك قوماً فقال الملائكة: "يا ربي إن فيها رجلاً صالحاً؟ قال: به فابدؤوا، لأنه كان لا يتمعر وجهه إذا رأى منكراً".

6 . النصيحة :

((والنُّصْحَ لكل مسلم))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن جرير بن عبد الله البجلي]

لذلك مما يزيد المودة والرحمة بين المؤمنين النصح لكل مسلم.

((إِنَّ الدِّينَ النصيحة. قلنا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قال: لله))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

أي انصح الناس أن يستقيموا على أمر الله، انصح الناس أن يلتفتوا إلى الله، انصح الناس أن يأتمروا بأمر الله، انصح الناس أن يقبلوا على الله.

((لله، ولكتابه))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

انصح الناس أن يقرؤوا القرآن، انصح الناس أن يفهموا القرآن، أن يطبقوا القرآن، أن يحضروا مجالس العلم التي تتبين بها معالم القرآن.

((لله، ولكتابه ولرسوله))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

انصح الناس أن يطبقوا سنة النبي، أن يأتمروا بأمره، أن يأخذوا ما أتاهم، وأن ينتهوا عما نهاهم، انصح الناس.

((ولأَئمة المسلمين))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

وانصح أئمة المسلمين أن يكونوا وقافين عند كتاب الله، وانصح عامتهم.

((الدِّينَ النصيحة))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

هو تعريف جامع مانع.

((قلنا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه ولرسوله، ولأَئمة المسلمين وعامتهم))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

أيها الأخوة الكرام، هذه نقطة أولى في موضوع العيد، الأخوة بين المؤمنين، يجب أن تكون متينة، قوية، متنامية.

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 46]

2 . من معاني العيد أيضاً الفوز بمعرفة الله :

المعنى الثاني أيها الأخوة، أن العيد في الإسلام يأتي بعد عبادتين كبيرتين، عيد الفطر السعيد يأتي عقب صيام رمضان، وعيد الأضحى المبارك يأتي عقب أداء فريضة الحج، والإنسان حينما ينجح في تطبيق أمر الله عز وجل لا شك أنه يفرح، فهذه كلمة الله أكبر تعبير عن أن هذا العبد عرف الله، عرفه أكبر من كل شيء، أكبر من حظوظ الدنيا، أكبر من الدنيا وما فيها، أكبر من كل كبير.

أيها الأخوة الكرام، كلمات أسوقها لكم لكنها خطيرة، من قال: الله أكبر بلسانه ألف مرة وأطاع مخلوقاً وعصى خالقه، فما قالها ولا مرة ولو رددها بلسانه ألف مرة، من قال: الله أكبر ولم يقم الإسلام في بيته ما قال الله أكبر ولا مرة، لماذا؟ لأنه رأى إرضاء أهله أكبر عنده من إرضاء الله، من خالف منهج الله عز وجل في تعامله اليومي رأى أن هذا المال الذي يكسبه الإنسان أغلى عنده من طاعة الله، فحينما لا تقيم الإسلام في بيتك، وحينما لا

تأتمر بما أمر الله ولا تنتهي عما نهى عنه، وحينما تطيع مخلوقاً وتعصي خالقاً، ما قلت الله أكبر ولا مرة، ولو رددتها بلسانك ألف مرة، لماذا فتح المسلمون العالم؟ لماذا رفرفت راياتهم في الخافقين؟ لماذا كانوا سادة الدنيا؟ لماذا كانوا قادة الشعوب؟ لماذا المسلمون على نحو آخر الآن؟ لأن الأوائل قالوا الله أكبر، قالوها شكلاً ومضموناً، قالوها بألسنتهم وطبقتها أفعالهم، والمسلمون في آخر الزمان وصفوا بآية واحدة جامعة مانعة بليغة حاسمة:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

[سورة مريم: 169]

3 . العيد واحة للإنسان يستريح بها من العمل الشاق المستمر :



من خصائص العيد المبالغة في المودة للأهل

وأن الحياة دار عمل، دار سعي، دار كد، دار جهد، كأنك في صحراء تقطع الفيافي، من أجل متابعة السير، من أجل أن تقوى على متابعة السير لابد من واحة تشرب منها الماء العذب، وتتلقى النسمات اللطيفة، وتستظل بالظل الظليل، الأعياد في الإسلام هي واحة يستريح فيها الإنسان من عناء السير، لذلك النبي ﷺ قال:

((أيها الناس إنها أيام أكل وشرب وبعال))

[أخرجه أبو يعلى عن أم عمر بن خلدة الأنصاري]

الإنسان يجلس مع أولاده، مع أهله، يبتسم لهم، يبالغ في المودة لهم، هذا من خصائص العيد، المعنى الأول فيه معنى الأخوة، والمعنى الثاني فيه معنى الفوز بمعرفة الله عز وجل، والمعنى الثالث هو أن يكون العيد واحة لك تستريح بها من العمل الشاق المستمر.

أيها الأخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد

تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صور مشرقة من صور المؤاخاة بين الصحابة :

أيها الأخوة الكرام، عودة إلى موضوع الأخوة الإنسانية، ولكن لا في مستوى النصوص وتفسيرها، لكن بمستوى الوقائع التي تبرزها، سيدنا الصديق رضي الله عنه كان له جيران عجائز مات أزاوجهن، أو استشهدوا في سبيل الله، وكان رضي الله عنه إكراماً لهن يؤم بيوت جيرانه فيحلب لهن الشياه، ولما آلت الخلافة إليه تناهى إلى سمعه حسرة هؤلاء العجائز لأنهن سيحرمن من هذه الخدمة الجليلة التي يؤديها هذا الرجل الصالح، ولكنه أخلف ظنونهن، وفي اليوم التالي لتوليه الخلافة يقرع باب إحدى تلك الدور، وتسارع فتاة صغيرة لتفتح الباب، ولا تكاد ترى أبا بكر رضي الله عنه حتى تصيح لأمها يا أماه، جاء حالب الشاة ليحلب لنا الشياه، هذا العمل يقوم به خليفة المسلمين!! يقدم هذه الخدمة لجيرانه!! إنه يؤكد تلك الأخوة بين المؤمنين.
أيها الأخوة الكرام، الأخوة بين المؤمنين لا تعني أن تؤاخي من هو في مستواك، هذا طبع في الإنسان، ولكن التكليف يأمرك أن تؤاخي أي مؤمن، ولو كان بينك وبينه أمد بعيد.
سيدنا الصديق مرة ثانية حينما مرّ بأمية بن خلف حينما كان يعذب بلالاً الحبشي، قال له: ألا تتقي الله عز وجل في هذا المسكين؟ حتى متى تعذبه؟ فقال أمية: أنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، خذ أكثر من ثمنه واتركه حراً، فنقد أبو بكر أمية الثمن وحرر بلالاً من رق العبودية وتأبط ذراعه، إشعاراً بالمساواة التامة، فقال أمية: خذه و اللات والعزة لو أبيت أن تشتريه بدرهم لبعتكه، فرأى الصديق في هذا الكلام الفظ مساً بكرامة بلال، فقال رضي الله عنه والله لو طلبت فيه مئة ألف لأعطيتكها، وسار الصديق متأبطاً ذراع بلال قائلاً: هذا أخي حقاً.
الأخوة بين المؤمنين لا أن تصاحب من هو في مستواك المالي، أو مستواك الثقافي المؤمنون في مستوى واحد، الإيمان رفعهم إلى طبقة واحدة.
فلذلك سيدنا الصديق من أركان قريش ومع ذلك وضع يده في إبط بلال وقال: هذا أخي حقاً، وكان أصحاب

النبي رضي الله عنه يقولون إذا ذكروا بلالاً: هو سيدنا وأعتق سيدنا يعنون به بلالاً، وحينما انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى ذهب بلال إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: يا خليفة رسول الله أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت، فقال أبو بكر: ومن يؤذن لنا؟ قال بلال وعيناه تفيض بالدموع: ما كنت لأؤذن لأحد بعد رسول الله، فقال أبو بكر: فابقَ وأذن لنا يا بلال، وقال بلال، ودققوا فيما قال: إن كنت أعتقتني لأكون لك فليكن ما تريد، أنا أنفذ ما تريد، وإن كنت أعتقتني لله فدعني وما أعتقتني له، فقال أبو بكر: بل أعتقتك لله يا بلال، فامض لما أردت.



الموقف الثالث الذي يؤكد أرقى أنواع الأخوة كان النبي ﷺ يؤاخي بين الأنصار والمهاجرين اثنين اثنين، مهاجر وأنصاري، و قد آخى بين سعد بن الربيع الأنصاري وعبد الرحمن بن عوف المهاجر، ماذا تعني الأخوة؟ لا تعني إفشاء السلام فقط تعني المعاونة، تعني المؤاثرة، تعني البذل، تعني التضحية. فقال سعد بن الربيع لأخيه عبد الرحمن: أنا أكثر أهل المدينة مالاً، عندي بستانان فانظر أي بستاني أحب إليك حتى أخرج لك منه، فقال عبد الرحمن بن عوف لأخيه الأنصاري: بارك الله لك في مالك، ولكن دلني على السوق، فدله عليه، فجعل يتجر وطفق يشتري ويبيع ويربح حتى اجتمع لديه مهر امرأة فتزوجها.

أيها الأخوة الكرام، الموقف الثالث الذي يلفت النظر في الأخوة الإنسانية ما رواه حذيفة العدوي قال: انطلقت يوم اليرموك، أطلب ابن عم لي في القتلى، ومعي شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به بين القتلى فقلت له: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم، ثم سمع رجلاً يقول: آه، فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إلى هذا واسقه، فإذا هو هشام بن العاص فأشار إلي أن نعم، فسمع آخر يقول: آه، فأشار إلي أن انطلق إليه، فجئته فإذا هو قد مات، رجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، رجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.

بربكم الإنسان يموت والذي يموت وقد نزف دمه يشتري كأس الماء بمليون، وهو بحال النزاع الأخير يؤثر أخاه بشربة ماء، بهذه الأخلاق فتح الصحابة البلاد، بهذه الأخلاق رفرفت راياتهم في الآفاق، بهذا التعاون أيام العيد، أيام المحبة، أيام الوئام، أيام العفو، أيام المسامحة، أيام صلة الرحم، لا تبقي في حياتك مشكلة حلها.

معاني الآية التالية :

دققوا في الآية، إلهنا وربنا يقول:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 1]

هذه الآية ثلاثة معاني، المعنى الأول أصلح ما بينك وبين الله:

﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 1]

بالصلح معه، بالتوبة إليه، بالإقبال عليه، بخدمة عباده، هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني:

﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 1]

أية علاقة بينك وبين الآخرين عليك أن تصلحها، مع أخيك، مع ابنك، مع أبيك، مع زوجتك، مع جارك، مع شريكك:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 1]

والمعنى الثالث: عليك أن تصلح أي علاقة فاسدة بين رجلين، وأنت لا علاقة لك بهذه العلاقة، أصلح أية علاقة بين مؤمنين، هذا أمر إلهي، وهذا الأمر يقتضي الوجوب، لكن الناس لما ابتعدوا عن دينهم انعزلوا عن بعضهم بعضاً، واكتفى كل ببيته، هو في بيته لا يعينه الآخرون، سعدوا أم شقوا، توافقوا أم تخاصموا، اقتربوا أم ابتعدوا، لكن الله سبحانه تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 1]

أردت أن يكون موضوع هذه الخطبة الأخوة بين المؤمنين لأن هذا اليوم يوم المحبة، ويوم المسامحة، ويوم العفو، ويوم صلة الرحم، لابد من أن تصلح العلاقة مع من حولك والمسامح كريم، والذي يبدأ بالصلح أرقى عند الله من الذي يتلقى الصلح.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارضَ عنا، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا مولانا رب العالمين. اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء مولانا رب العالمين.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك .

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن رواتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاة المسلمين إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {10-14}

خطبة عيد الأضحى المبارك لعام 1413هـ - 1993م : خ1 - أداء العبادات المغلوطة فرغها من مضمونها ، خ2 - فضل الأضحية وشروطها والمستحب فيها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1993-05-31

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا،الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي، ولا اعتصامي، ولا توكلي، إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

أيها الإخوة الكرام، الأعياد في الإسلام لها مفهوم خاص، ليس كمفهوم الأعياد عن غير المسلمين، المرء المسلم يفرح بالعيد لا لأنه يلبس الجديد، ولا أنه يأكل الثريد، ولكن حينما ينال المسلم من رضاء الله عز وجل ما يريد فهذا هو فرحه الحقيقي، قال تعالى:

﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾

[سورة يونس الآية: 58].

قل لي ما يفرحك أقل لك من أنت، هل تفرحوا لرضوان الله عز وجل، هل تفرحوا بطاعته، هل تفرحوا أن الله سبحانه وتعالى قدر على يديك فعل الخيرات، هل تفرحوا أن الله سبحانه وتعالى سمح لك أن تنطق عنه، أن تتحدث عنه، هل عرفت الله عز وجل، هل أنت ملتزم أمره ونهييه،

﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾

حقيقة فرحة العيد هي في العودة إلى الله، هي في الصلح معه، هي في التوبة إليه، هي الإنابة إليه، هي في

الإقبال عليه.

يا أيها الإخوة الأكرم، الأعياد عند المسلمين تأتي عقب عبادات كبرى، عيد الفطر السعيد يأتي عقب عبادة الصيام، وفي الصيام يرقى الإنسان إلى مستوى التقوى، يرقى الإنسان إلى مستوى أن يخشى الله سبحانه وتعالى، وألا تأخذه في الله لومة لائم، لذلك قال تعالى منوهاً بالعيد الذي يأتي عقب شهر الصيام:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة البقرة].

هذه فرحة العيد، وفي عيد الأضحى المبارك يؤدي الحاج المستطيع فريضة الحج، وما الحج؟ إنه رحلة إلى الله عز وجل، رحلة إلى الله خالصة، الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة فرض على المسلمين حج بيته الحرام، اتخذ بيتاً، جعل للناس بيتاً في الأرض، مراعاةً للنزعة المادية في الإنسان، ليمكن المؤمن به ليعبر عن حبه، وعن شوقه بإتيانه بيته الحرام:

﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

[سورة الحج].

تارك أهله، وماله، وولده، وعمله، وكل شيء ابتغاء مرضاة الله رب العالمين، فإذا صح الحج وقبله الله عز وجل وغفر له ذنوبه التي بينه وبينه، التي بين الله وبين العبد، عاد من الحج كيوم ولدته أمه، لذلك حق له أن يفرح عقب فريضة الحج بهذا العيد العظيم عيد الأضحى المبارك.

أيها الإخوة الأكرم، قال بعض العلماء: إن في قلب الإنسان شعثاً لا يلمه إلا الإقبال على الله، في ضياع، يشعر أي إنسان بضياع ما لم يقبل على الله عز وجل، لو أن الدنيا كلها بين يده، لو أنه بلغ أعلى درجات القوة، لو أن الدنيا كلها جمعها بين أصبعيه، يشعر بالشعث، بالضياع، بالتفرق ما لم يقبل على الله عز وجل، وفي قلب الرجل وحشة لا يزيلها إلا الإنس بالله.

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد].

إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال للكثيرين من خلقه ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، في قلب الإنسان وحشة لا يؤنسه، ولا يزيلها إلا الأنس بالله عز وجل، ماذا يفعل المال؟ وماذا يفعل الجاه؟ وماذا تفعل القوة؟ وماذا تفعل كثرة الأهل والولد؟ إن لم يأنس قلبك بذكر الله.

((إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار . وذكر الله ومن والاه .))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك].

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

وفي القلب أيها الإخوة حزنٌ، لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

[سورة طه]

في قلب الإنسان شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، في قلب الإنسان وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، في قلب الإنسان حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفي قلب الإنسان قلق لا يسكنه إلا الاجتماع على الله و الفرار إليه، أليس القلق مرض العصر؟ أعرض الإنسان عن ربه فابتلي بالقلق، توقع المجهول، توقع الخطر، أنت من خوف الفقر في فقر، أنت من خوف المرض في مرض، القلق يأكل القلوب، الخوف من المستقبل، الخوف من المجهول، وكأن الله سبحانه وتعالى لا علاقة له بما يجري، أما إذا فهمت الأمور على نحو توحيدي، على نحو بحيث ترى يد الله عز وجل فوق أيديهم، وأن يد الله تعمل في الخفاء، وأن كل خطة جهنمية وضعها أعداء الإسلام تستوعبها خطة الله عز وجل، ولا يسمح بتنفيذ بعض أجزائها إلا بعلمه، وبحكمته، عندئذٍ يسكن القلق، ويذهب الحزن، وتذهب الوحشة.

أيها الإخوة الأكارم، وفي قلب الإنسان نيران حسرات لا يطفئها حسرة في قلب كل معرض، هذه الحسرة لا يطفئها إلا الرضا بأمر الله ونهيه، وإلا الرضا بقضاء الله وقدره، وإلا الصبر على أمره التكليفي وعلى أمره التكويني حتى

لقاءه.

يا أيها الإخوة الأكارم، وفي قلب الإنسان فاقه، أي فقر، ليس الفقير هو الذي لا يملك لكن الفقير هو الذي يشعر أنه لا يملك، في قلب الإنسان فاقة لا يسدها إلا محبة الله عز وجل، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

[سورة الأحزاب]

الفوز العظيم في طاعة الله، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون].

آيات كثيرة تطمئن المؤمن.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

[سورة فصلت]

ألم يقل الله عز وجل:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

[سورة طه]

ألم يقل الله عز وجل:

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة]

لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، ولا يندم على ما فات، ولا يخشى مما هو آت، ماذا بعد هذه الميزات.

أيها الإخوة الأكارم، أما إذا أقبل الإنسان على الدنيا، وأعرض عن ذكر ربه، وامتلئ قلبه بالحسرات، وامتلئ قلبه بالهم، وشعر بالفقر، وأحس بالوحشة، وأحس بالضياع، هذه فطرة الإنسان، قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾

[سورة الروم الآية: 30]

أقم وجهك، كن مع الله دائماً، وكلما شعرت بالزيغ عد إليه، وتب إليه وأنب إليه

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾

أن تقيم وجهك للدين ترتاح نفسك، يطمئن قلبك، تسكن جوارحك هذه فطرة الله هذه:

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم الآية: 30]

طبيعة النفس لا ترتاح إلا بطاعة الله، لا تطمئن إلا بتطمين الله عز وجل، لا تشعر بالأمن إلا إذا آوت إليه، لا تشعر بالثقة إلا إذا اتكلت عليه، لا تشعر بالفرح إلا إذا أطاعته، ما منا واحد أيها الإخوة إلا ويبحث عن السعادة، ويبحث عن السلامة قبل السعادة، وسلامته، وسعادته في معرفة ربه وفي طاعته لربه، وفي الإقبال عليه، وفي التقرب إليه.

قبل قليل كنا نكبر، الله أكبر، الله أكبر.

يا أيها الإخوة الأكارم، كلمة خفيفة على اللسان، لكنها ثقيلة في الميزان، لو قال أحدنا الله أكبر مئة ألف مرة، وأطاع مخلوقاً وعصا ربه تأكدوا أنه ما قالها ولا مرة ولو لفظها بلسانه ألف مرة.

هذه الكلمات العظيمة التي هي شعار المسلمين قالها أصحاب النبي عليهم رضوان الله قالوها صادقين، قالوها متحققين، قالوها مخلصين، فدانت لهم الأرض من أقصاها إلى أقصاها واليوم يرددها مليار ومائتا ألف مسلم في هذا في صبيحة هذا اليوم، وليست كلمتهم هي العليا، ما السر في ذلك، السر أن هذه الكلمة تعني أنه لا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق، الله أكبر فإذا أطعت غير الله لسانك يقول الله أكبر ولكن السلوك لا يؤكد هذه الحقيقة، لماذا أطعت زيداً وعصيت خالقك؟ لأنك رأيته أكبر من الله، رأيت طاعته أثمن من طاعة الله، هذا الذي وقع فيه المسلمون.

أيها الإخوة الأكارم، في العيد من السنة أن يزور بعضنا بعضاً، النبي عليه الصلاة والسلام ذكر حديثاً عن ربه، قال تعالى:

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابّينَ فيَّ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاورينَ فيَّ، والمتباذلينَ فيَّ . والمتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبييون يوم القيامة .))

[أخرجه مالك عن معاذ بن جبل]

لا ينبغي في العيد أيها الإخوة أن تكون الشحناء، وأن تكون البغضاء، وأن يكون التقاطع، وأن يكون التدبر، وأن تكون القطيعة، ففي العيد ينبغي أن نتحقق جميعاً من قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات الآية: 10]

إنما تفيد القصر والحصر، فما لم يشعر المؤمن بأخوته للمؤمن ولاسيما في هذه الأيام المباركة فليس مؤمن

اً ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

وإن كان بين المؤمنين شائبة، وإن كان بين المؤمنين خلاف قال تعالى:

﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة الحجرات[.

يا أيها الإخوة الأكارم، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾

الشرط:

﴿ يَعْبُدُونَنِي﴾

[سورة النور الآية: 55]

يا أيها الإخوة، هذه الآية الكريمة توضح لنا سر ما يجري:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ ﴾

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾

[سورة النساء].

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة التوبة الآية: 111]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي ﴾

قد تتوضح هذه الآية بالحديث القدسي:

((لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيتُ كُلَّ إنسان مسألتَهُ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَطُ إذا أُدِخلَ البحرَ . ذلك لأن عطائي كلام، وأخذي كلام . فمن وَجَدَ خيراً فليَحْمَدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبو ذر الغفاري]

يا أيها الإخوة الأكارم، ليس حل ما نحن فيه بالبكاء، ولا بالعويل، ولا بالشكوى، ولا بالألم، ولا بالحزن، إنما الحل في الصلح مع الله، إنما الحل بطاعة الله.

((كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعِيَّته))

[أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر]

لا تنسوا دعاء النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم هذا قَسْمي فيما أملك. فلا تَلُمني فيما تَملك ولا أَملك))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]

يا أيها المسلم، ماذا تملك؟ تملك بيتك، تملك أولادك، تملك زوجتك، تملك بناتك، تملك دكانك، تملك عملك، الله سبحانه وتعالى لا يحاسب الإنسان إلا فيما يملك.

((وكلُّكم مسؤول عن رعِيَّته))

فرعيتك بيتك، فإذا انكفأ كل منا إلى بيته ليجعله بيتاً مسلماً، واتجه إلى عمله ليجعل من عمله طاعة لله عز وجل، إذا فعل كل منا أنه أصلح بيته، وأصلح عمله، هذا فيما يملك، ولكن لا تظن أن الله سبحانه وتعالى يسألك عما لا تملك تملك، وفيما لا تملك، هذا الذي تملكه.

فيا أيها الإخوة الأكارم، لا ينبغي للمسلم أن يختصر الإسلام إلى صوم، وصلاة وحج، وزكاة، وأن يكون بيعه غير شرعي، وأن يكون بيته غير مسلم، الإسلام كلٌ لا يتجزأ بعض أوامره تعاملية، وما لم يصح تعاملك مع الخلق وفق منهج الله عز وجل لن تصح عبادتك.

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام))

((إن فلانة ذكر من كثرة صلاتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال عليه الصلاة والسلام هي في النار))

[أخرجه البزار عن أبو هريرة]

((دَخَلت امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ: ربطتها، فلم تُطْعِمها، ولم تَدَعْها تأْكُل مِن خَشاشِ الأرض))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر]

((رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش))

[أخرجه الحاكم عن أبو هريرة]

((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة]

الصلاة لا تجدي، والصيام لا يجدي، والحج لا يجدي، والإنفاق لا يجدي، إذا كان الإنسان متلبس بالمعصية.

((يا ابن آدم كن لي كما تريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد وأنا أريد، فإن سلمت لي بما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد))

[ورد في الأثر]

أيها الإخوة الأكارم، العيد مناسبة لزيارة الأقارب، لصلة الرحم، للإحسان للفقراء والمساكين، للأعمال الصالحة الطيبة، لمزيد من ذكر الله عز وجل، لمزيد من العمل الصالح، العيد عودة إلى الله عز وجل وفرح بهذه العودة، ليس العيد من لبس الجديد، وأكل الثريد، ولكن حينما تنال من رضوان الله ما تريد.

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الله سبحانه وتعالى منّ علينا بأن عشنا وأدركنا هذا العيد، فليسأل كلٌ منكم نفسه ربما لا أصل إلى العيد الآخر، لا بد من الصلح مع الله، لا بد من التوبة، لا بد من مراجعة العمل.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلي و سلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه وسلم تسليماً كثيراً. أيها الإخوة الأكارم، كلكم يعلم علم اليقين أن الإنسان مجموعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

((ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة))

أيها الإخوة الأكارم، مثل الإنسان في هذه الحياة الدنيا كمثل إنسان معه رأس مال شتان بين أن ينفق من رأس ماله، وبين أن ينفق من ريع ماله، فإذا أنفق من رأس ماله فهو في خسارة ولو بدا في بحبوحة إنه ينفق رأس ماله، فإذا انتهى رأس ماله انتهى مع رأس ماله، لكن الذي يستثمر ماله، وينفق من ريع ماله هذا ليس في خسارة، بل في ربح متنامين، فيا أيها الأخ الكريم ما رأس مالك، رأس مالك الوقت، رأس مالك حياتك، رأس مالك الزمن، فأنت إما أن تنفقه إنفاقاً استهلاكياً تستهلك الزمن فإذا أنقدت المدة التي قررها الله عز وجل لهذا الإنسان انتهى الإنسان، انفق ما يملك وصار صفر اليدين، إذا استهلكت هذا الوقت في طاعة الله، وفي العمل الصالح، وفي معرفة الله، وفي الإنفاق في سبيل لله، إنك الآن تسعد في ريع مالك، أو في ريع رأس مالك، الذي هو الوقت، أو الذي هو عمرك، وهذا هو معنى قول الله عز وجل، وهذا معنى قول الله عز وجل:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر]

بقي موضوع آخر وأخير في هذه الخطبة خطبة عيد الأضحى المبارك، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من وجد سعة فلم يذبح فلا يقربن مصلانا))

[أخرجه الحاكم عن أبو هريرة]

فكلما غلا اللحم كان أجر الأضحية أعظم، هناك من يسأل: أيهما أفضل أُنفق ثمن هذه الأضحية أم أن أضحي؟ أجمع العلماء على أن الأضحية أكثر ثواباً من إنفاق ثمنها، لأنك إن أفقت ثمنها ربما سد الفقير ديناً عليه، وبقي أولاده جياعاً، لذلك:

((من وجد سعة فلم يذبح فلا يقربن مصلانا))

الأضحية في الحكم الشرعي واجبة على كل مسلم حر، وعلى المقيم الموسر وحكمتها التوسيع على العيال والأقارب، وفقراء المسلمين، ووقت وجوبها أيام التشريق الثلاثة من بعد صلاة العيد إلى غروب شمس ثالث يوم من أيام العيد، ولا يجوز النحر قبل الصلاة، لقوله ﷺ:

((من ذبح قبل الصلاة فليعد ذبحه))

والأضحية كما قلت قبل قليل: أفضل من التصدق بثمنها، وتجوز الأضحية من الغنم من ضأن، أو ماعز، والإبل، أو البقر، وبالغنم، يشترط أن يكون أتم السنة، ولا تصح التضحية بالعمياء، ولا العوراء، ولا العجفاء، ولا العرجاء، ويستحب في الأضحية أسمنها، وأحسنها، لقوله ﷺ:

((عظموا ضحاياكم، فإنها على الصراط مطاياكم))

والأضحية هدية العبد إلى ربه، وقربة إليه فليحسن أحدكم الهدية إلى ربه، فكان ﷺ يضحي بالكبش الأبيض الأقرن، ويستحب للمضحي أن يأكل من أضحيته، وأن يهدي منها أقرباءه، وأصدقاءه، وجيرانه، وأن يتصدق بثلثها أو أكثر، لقوله تعالى:

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾

[سورة الحج الآية: 36]

ولا يجوز أن يبيع جلدها، ويستحسن أن يحضر صاحب الأضحية الذبح فإن استطاع أو أن يذبح بيده.

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾

[سورة الحج الآية: 37]

أيها الإخوة الأكارم:

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، واقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اكتب الصحة والسلامة للحجاج والمسافرين، والمقيمين والمرابطين، في برك وبحرك من أمة محمد أجمعين، اللهم اجعل حجهم مبرورا، وسعيهم مشكورا، وذنبهم مغفورا، يا رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس :{11-14}

خطبة عيد الفطر لعام 1412هـ - 1992م : خ1 - معنى الله أكبر(الحفاظ على الطاعة لما بعد رمضان) ، خ2 - المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1992-04-03

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا، الله أكبر ما تعالت أصوات الناس بالتكبير، الله أكبر ما تفتحت أبواب السماء، في هذا الصباح الكبير، الله أكبر ما تنزلت علينا رحمة ربنا العلي الكبير، الله أكبر ما تقاربت قلوب المسلمين، الله أكبر ما تظافرت جهودهم، وصدقت عهودهم، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمد بكرة وأصيلا.

أيها الإخوة المؤمنون، كلمة الله أكبر هذه الكلمة ثقيلة في الميزان، لأن المؤمن الحق إذا عرف معناها، وعرف مدلولها، وعرف مؤداها، أصبحت حياته حياة منتظمة، أصبحت حياته حياةً مستقرة، كيف لا؟ وقد رأى الله أكبر من كل شيء، آثر طاعته على طاعة المخلوقين، آثر رضاه على رضاء الناس أجمعين، آثر الاستقامة على منهجه، وترك منهج الآخرين.

أيها الإخوة الأكارم، لا يعقل أن تقول الله أكبر وأن تطيع مخلوقاً وتعصي الله عز وجل، لا يعقل أن تقول الله أكبر وأن ترى رضاء المخلوقين أكبر عندك من رضاء رب العالمين.

مرة خاطب الإمام الغزالي نفسه، قال: يا نفس! لو أن طبيباً حذرك من أكلة لا تحبينها ووعدك عليها مرضاً وبيلاً لا شك أن هذه النفس تتحاشى هذه الأكلة، وتتقي أن تقترب منها، سل الإمام الغزالي نفسه، قال: يا نفس! أيكون الطبيب أصدق عندك من الله؟ أيكون الطبيب أصدق عندك من الله؟ إذاً ما أكفرك، أيكون المرض أشد عندك من الموت؟ من النار؟ إذاً ما أجهلك.

يا أيها الإخوة الأكارم، هذا الذي يقول الله أكبر بلسانه، ويرضي المخلوق ويعصي الخالق، هذا المخلوق أكبر عنده من الله، ورضا هذا المخلوق أغلى عليه من رضاء الله، وغضب هذا المخلوق أشد عنده من غضب الله، إذاً هذا الإنسان ما قال بلسانه الله أكبر ولا مرة، ما قالها بقلبه ولا مرة، ولو قالها بلسانه ألف مرة ومرة.

يا أيها الإخوة الأكارم، كلمت الإسلام، كلمات لا إله إلا الله، كلمة الله أكبر، كلمة سبحان الله، كلمة الحمد لله، هذه الكلمات يرددها المسلمون ولو عرفوا مضمونها لكانت حالتهم غير هذه الحالة.

يا أيها الإخوة الأكرم، شتان بين أن تقول مليون بلسانك، ولا تملك درهماً في جيبك وأن تملك هذا المبلغ، فرق كبير بين أن تلفظ هذا الرقم، وبين أن تملكه، وكذلك فرق كبير بين أن تقول الله أكبر وبين أن تكون في مستوى هذه الكلمة، نحن في العيد نكبر، وهذا التكبير استنبطه النبي عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة البقرة]

تكبر الله على ماذا؟ على ما هداكم، معنى ذلك أن فرحة العيد في أصلها أنك فرحت بالصلح مع الله عز وجل، إنك في رمضان اصطلحت مع الله، إنك في رمضان أنبت إلى الله، إنك في رمضان استقمت على أمر الله، إنك في رمضان ضبط جوارحك، وحواسك وفق شريعة الله إنك في رمضان تلوت القرآن، إنك في رمضان قمت الليل، إنك في رمضان غضضت البصر عن محارم الله، إنك في رمضان تحريت الحلال، إنك في رمضان أنفقت مالك في سبيل الله، هذا الإنجاز العظيم، هذا الصلح مع الله الكبير، هذه الإنابة المسعدة، هذا الإقبال العظيم، هذا نصر كبير لك.

أيها الإخوة الأكارم، قد تستغل قوى الطبيعة كلها، ولا تستطيع أن تنتصر على نفسك قد تنتصر على عدوك اللدود، قد تحقق انجازاً عظيماً في الدنيا ولكنك لا تنتصر على نفسك من هم الأنبياء؟ هم الذين انتصروا على بشريتهم، هم الذين وضعوا شهواتهم تحت أقدامهم والمؤمنون الصادقون على نهج الأنبياء والمرسلين، إنك في رمضان انتصرت على نفسك، حققت عبوديتك لله عز وجل، أنبت إلى الله، هذا إنجاز عظيم، هذا نصر كبير، هذا انتصار على شهواتك، انتصار على بشريتك، انتصار على حظوظك، هذا الإنجاز العظيم لو تساهلنا بعد رمضان لعدنا إلى ما كنا عليه قبل رمضان.

أيها الإخوة الأكارم، المعنى الأول الذي ينبغي ألا يغادرنا في هذا اليوم العظيم هو أنه ليست البطولة أن نضبط ألسنتنا في رمضان، فننزهها عن الغيبة والنميمة وقول الزور ثم نطلقها بعد رمضان إلى حيث الكذب والبهتان، ولكن البطولة أن نستقيم منا الألسن، وأن تصلح فينا القلوب ما دامت الأرواح في الأبدان، هذه البطولة.

الآن دقق خلت في شوال، دخلت في شهور العام، دخلت في الأيام التالية في رمضان، هل أنت على منهجك في رمضان؟ هل أنت على ورعك في رمضان؟ هل أنت على استقامتك في رمضان؟ إياك أن تضيع هذا النصر العظيم، إياك أن تضيع هذا النصر على نفسك إياك أن تضيع هذا الإنجاز الكبير، ليست البطولة أن نغض أبصارنا عن محارم الله في رمضان وأن نضبط شهواتنا غير المشروعة، ثم نعود إلى ما كنا عليه بعد رمضان إنا إذاً:

﴿ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً ﴾

[سورة النحل الآية: 93]

ولكن البطولة أن تصوم جوارحنا عن كل معصية في رمضان وبعد رمضان فلا تفطر الجوارح حتى تلقى الواحد الديان، ليست البطولة أن نتحر الحلال في رمضان خوفاً من أن يرد علينا صيامنا، ثم نتهاون في تحريه بعد رمضان على أنه عادة من عوائدنا، ونمط شائع من سلوكنا، ولكن البطولة أن يكون الورع مبدأ ثابتاً وسلوكاً مستمراً، ليست البطولة أن نبتعد عن المجالس التي لا ترضي الله عز وجل إكراماً لشهر رمضان، ثم نعود إليها وكأن الله ليس لنا بالمرصاد في بقية الشهور والأعوام، ليست البطولة أن نراقب الله في أداء واجباتنا، وأعمالنا ما دمنا صائمين، فإذا ودعنا شهور الصيام آثرنا حظوظ أنفسنا على أمانة أعمالنا وواجباتنا.

أيها الإخوة الأكارم، هذه الكلمة كلمة الله أكبر كلما أقدم الإنسان على معصية ليعلم علم اليقين أنه ما قالها بقلبه ولا مرة، ولو قالها بلسانه ألف مرة ومرة، هو ليس في مستواها، كلمة الله أكبر، وكلمة سبحان الله، وكلمة والحمد لله، وكلمة لا إله إلا الله، هذه الكلمات قليلة في حروفها عميقة في دلالاتها، قليلة في حجمها، كبيرة آثارها.

أيها الإخوة الأكارم، من شأن أعياد المسلمين أن تأتي بعد عبادة عظيمة، أليس عيد الأضحى المبارك يأتي بعد أداء فريضة الحج؟ أليس عيد الفطر السعيد يأتي بعد شهر رمضان ما معنى العيد بعد الصيام؟ وما معنى العيد بعد الحج؟ إنه فرحة بالعودة إلى الله، إنها فرحة بالرجوع إليه، إنه فرحة بالاستجابة له.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[سورة الأنفال الآية: 24]

دعوة الله عز وجل لحياة القلوب، دعوة الله عز وجل لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، إن حب وجودك، إن حرصك على وجودك، وحرصك على سلامة وجودك، وحرصك على كمال وجودك، وحرصك على استمرار وجودك، هذه الميول الفطرية لا تتحقق إلا في معرفة الله عز وجل.

أيها الإخوة الأكارم، ليست الفرحة بالعيد في لبس الجديد، ولا في أكل الثريد، ولا أن تفعل في هذه الأيام ما تريد، ولكن فرحة الحقيقة هي فرحة في العودة إلى الله.

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة البقرة]

فيا أيها الإخوة الأكارم، البطولة أن ننتصر على أنفسنا، البطولة أن نضبط شهواتنا البطولة أن نتعرف إلى ربنا، البطولة أن نتعرف إلى منهجه، البطولة أن نحمل أنفسنا على طاعته البطولة أن نعرف سر وجودنا، البطولة أن نعرف ماذا بعد الموت، هذا الشهر الذي مر بنا بمر سريعاً.

معناً آخر يا أيها الإخوة الأكارم، يمكن أن يستنبط من هذا الشهر الكريم: وهو أن الزمن يمضي، قبل أيام كنا نستقبل هذا الشهر الكريم، ومضت هذه الأيام الثلاثون كأنها ساعة كذلك العمر إنه ساعة، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر]

أيها الإخوة الأكارم، لا شك أن الجمادات لها أبعاد ثلاثة، طول، وعرض، وعمق أو ارتفاع، لكنها إذا تحركت لها بعد رابع ألا وهو الزمن، والزمن بعد رابع للأجسام المتحركة، فما دمنا نتحرك على وجه الأرض فنحن من بعض معاني وجودنا أننا جزء من الزمن، أو نحن زمن لذلك اقسم الله عز وجل بأثمن ما يملكه الإنسان، أقسم الله عز وجل بهوية الإنسان، قسم لله عز وجل برأس مال الإنسان، أقسم الله عز وجل بهذا المخلوق الأول الذي خلقه ليسعد بقربه قال:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

انظر مضي الزمن وحده، تتابع الأيام، تتابع الليالي، تتابع الأسابيع، تتابع الشهور تتابع السنين، إنه يذهب منك جزءاً، إنه يقربك من لحظة النهاية، إنه يستهلكك، لذلك قال الله عز وجل:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

ما دامت الأيام تمضي فأنت في خسارة، ما دامت الأسابيع تمضي فأنت في خسارة، هذا ليس كلامي أيها الإخوة هذا كلام خالق الكون، ما دامت السنين تمضي فأنت في خسارة،

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

أي إنسان؟ أي إنسان في الكون، أي إنسان على وجه الأرض، ما دام الزمن يمضي فهو في خسر، إذاً مضي الزمن ليس في صالح الإنسان، مضي الزمن خسارة محققة له، مضي الزمن اقتراب من ساعة الصفر، مضي الزمن اقتراب من نهايته، إذاً هو زمن.

يا أيها الإخوة الأكارم، من هذا الذي استطاع أن يتلافى هذه الخسارة؟ من هذا الذي استطاع أن ينجو من هذه الخسارة المحققة؟ من هذا الذي استطاع أن لا يكون خاسراً بل أن يكون رابحاً؟ الله عز وجل استثنى، قال:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر]

إنك إن لم تؤمن، وتعمل الصالحات، وإن لم تدعو لله عز وجل، وإن لم تصبر على الأوامر، وإن لم تصبر عن النواهي، وإن لم تصبر عن أمر الله التكويني فأنت في خسارة، ولكنك إذا أنفقت الوقت إنفاقاً استثمارياً، شتان بين أن تنفق الوقت إنفاقاً استهلاكياً أن تأكل، وأن تشرب وأن تجلس في البيت، وأن تكسب المال، وأن تنفق المال، وأن تمضي الأيام والسنون وأن يأتي الأجل هذا استهلاك للوقت، وبين أن تؤمن، وبين أن تطلب العلم، وبين أن تحضر مجالس العلم وبين أن تتفكر في الكون، وبين أن تتدبر كلام الله عز وجل، وبين أن تنظر في أفعال الله عز وجل، وبين أن تحمل نفسك على منهج الله، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾، أربعة أشياء إذا توافرت في يومك نجوت من الخسارة، أربعة أشياء إذا توافرت كل يوم من أيام حياتك لأن كل يوم من أيام حياتك يناديك ويقول:

((يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة))

في اليوم الذي تؤمن فيه، أو في اليوم الذي تزداد فيه إيماناً، في اليوم الذي تزداد فيه علماً، في اليوم الذي تزداد فيه قرباً، في اليوم الذي تزداد فيه تعمل الصالحات، هذا اليوم مستثنى من الخسارة، هذا اليوم هو ربح كبير، لماذا؟ لأن آثار هذا اليوم تستمر بعد الموت.

أيها الإخوة الأكارم، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، دققوا في هذه الكلمة: كل ما لم يصطحبك بعد الموت فهو من الدنيا.

ما الأعمال التي ترقى بها؟ ما الأعمال التي تربح بها؟ ما الأعمال التي تزيدك قرباً من الله عز وجل؟ الأعمال التي يعود أثرها بعد الموت، أو الأعمال التي يستمر أثرها بعد الموت.

فيا أيها الإخوة الأكارم، دقق أي عمل تعمله، أي نشاط تبذله، أي حركة تتحركها، أي سلوك تسلكه، إن انقطعت آثاره عند الموت فهو من الدنيا وهو خسارة في خسارة، وإن استمرت آثاره بعد الموت هو ربح في ربح.

لهذا هذه السورة القصيرة لأن رمضان البارحة دخلنا فيه، البارحة فرحنا بقدومه البارحة اختلفنا في إثبات هذا اليوم، يا ترى الإثبات صحيح، هذا الشهر الكريم البارحة دخلنا فيه ومضت هذه الأيام الثلاثون، أو التسعة والعشرون، وتمضي الشهور وتمضي السنون، فإذا فجأة يواجه الإنسان قراراً بمغادرة الدنيا، دون أن يعود إليها، ترك ماله، ترك بيته الذي تعب في تأسيه ترك مكانته الاجتماعية، ترك حجمه المالي، إلى أين؟ هذا هو السؤال الخطير، ماذا بعد الموت؟ ماذا في القبر؟ ماذا بعد القبر؟ ماذا يوم يقوم الناس لرب العالمين؟.

أيها الإخوة الأكارم، إنك في خسارة محققة ما لم تؤمن بالله، وتعمل صالحاً، وتدعو إلى الله، وتصبر على كل أولئك، هذه السورة القصيرة في كلماتها الخطيرة في مدلولاتها، العظيمة في آثارها، هذه السورة يجب أن تكون نبراساً لنا في حياتنا.

شيء آخر يا أيها الإخوة الأكارم: الله عز وجل يقول:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾

[سورة التكاثر]

الإنسان حين تستهلكه الدنيا، أحياناً يدخله في متاهاتها، يدخل في نشاطاتها التي ألفها الناس، فإذا هو حلقة في سلسلة تتحرك، لا يدري لِمَ يتحرك، يبحث عن ماذا؟ عن التكاثر عن جمع الدرهم والدينار، عن تكديس الأموال،

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾

واللهو أيها الإخوة الاشتغال بالخسيس عن النفيس، الاشتغال بالفانية عن الباقية، الاشتغال بما تتركه عن ما أنت بحاجة إليه.

يا أيها الإخوة الأكارم:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة التكاثر]

إذا أردت أن تشتري بيتاً وقال لك أحدهم سوف تعلم، ألا تقف؟ كلمة سوف تعلم، لعل هذا البيت مباع مرة ثانية، لعل هذا البيت مرهون، لعل في أساس البيت خللاً، لعل في هذا البيع خداعاً، كلمة

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

ألا تجعلك تقف متريثاً؟

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

الإنسان قد يرى المال كل شيء، قد يرى اللذائذ كل شيء، قد يرى العلو كل شيء، فإذا مضت السنون رآها شيئاً من بعض الأشياء، فإذا اقترب من أجله لم يرها شيئاً، رأى الله كل شيء، رأى معرفة الله هي كل شيء. فيا أيها الإخوة المؤمنون، أقول لكم هذه الكلمات، وأنا أعني ما أقول: ليست قضية الإيمان أن تؤمن أو ألا تؤمن، أبداً لأنه لا بد من أن تؤمن، القضية قضية أن تؤمن بالوقت المناسب، أو أن تؤمن بعد فوات الأوان، ألم يقل فرعون:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات]

هل بعد هذا الكفر من كفر؟ هل بعد هذا الإلحاد من إلحاد؟ هل بعد هذا التبجح من تبجح؟ ومع ذلك حينما جاءه الموت قال:

﴿ آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾

[سورة طه]

عندما جاءه الموت قال:

﴿ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة يونس].

إذاً آمن، هذا الذي قال:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

آمن، إذا قضية الإيمان أن تؤمن أو أن لا تؤمن، يجب أن تؤمن قبل فوات الأوان، وأنت صحيح شحيح، يجب أن تؤمن وأنت قوي، يجب أن تؤمن وأنت غني، يجب أن تؤمن وأنت شاب، أما هذا الذي يلتفت إلى آخرته حينما يدنو من آخرته، أين ضيع شبابه؟.

((لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه . وعن علمه ماذا عمل به .))

[أخرجه الطبراني عن أبو الدرداء]

أيها الإخوة الأكارم، من كلمة الله أكبر استوحيت شطر هذه الخطبة، ومن مضي الأيام التي شعرنا بها في رمضان استوحيت الشطر الثاني.

أيها الإخوة الأكارم، لو سألت إنساناً تاب إلى الله توبة نصوحة، واصطلح مع الله صلحاً حقيقياً لا تجد أسعد في الدنيا منه، الصلح مع الله، التوبة إلى الله، الإنابة إلى الله، الالتزام بمنهج الله عز وجل، نحن في أول أيام العيد، وبإمكانك أن تجعل من أيام السنة كلها رمضان بإمكانك أن تتوب في أي وقت، بإمكانك أن تقبل على الله في أي شهر، بإمكانك أن تزداد قرباً في كل أشهر العام، إذا كان رمضان فرصة للرقي ليس معنى هذا أنه فرصة وحيدة، إذا فاتك أن تتوب في رمضان فأيام السنة كلها في رمضان مجال رحب للتوبة، إذا كانت أبواب الله عز وجل مفتحة في رمضان فأبواب الله عز وجل مفتحة على مصاريعها في كل أشهر العام.

هذا المعنى الدقيق أيها الإخوة، أتمنى أن يبقى عندكم، أتمنى أن يكون ماثلاً في أذهانكم، معنى أنني انطلقت ولن أعود إلى ما كنت عليه، أنني حققت إنجازاً ولن أخسره بعد رمضان، أنني ألفت صلاة الفجر في جماعة ولن أتركها ما حييت، أنني ألفت قراءة القرآن ولن أدعه طوال العام، أنني ألفت الإنفاق في سبيل الله، ولن أدع هذا الإنفاق طوال أشهر العام.

أيها الإخوة الأكارم، هذه المعاني يجب أن تكون في العيد، ويجب أن يكون العيد كما أراده الله ورسوله مزيداً من الطاعات، لا مانع من لهو بريء، لا مانع من أن تكون بين أهلك وأولادك، لا مانع من أن تفعل ما أباحه الله لك، أما أن يكون العيد مزلقاً لارتكاب بعض المعاصي أما أن يكون العيد مزلقاً لاجتراح بعض المخالفات، فهذا ليس عيداً، وليس العيد من لبس الجديد ولا من أكل الثريد، ولا من فعل ما يريد، ولكن العيد هو عودة لله عز وجل. أيها الإخوة الأكارم، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة))

معنى بادروا تسابقوا إليها، لأن الزمن يمضي، يقول الله عز وجل:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

[سورة البقرة الآية: 148]

أنت لك وجهة هي من اختيارك، ومن كسبك

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[سورة البقرة الآية: 148]

ما معنى

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

إنك في سباق مع الزمن، إن الزمن يمضي فإن لم تتحرك في الزمن سبقت،

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

[سورة البقرة الآية: 148]

هذه الحرية،

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

حرية الاختيار التي أكرمك الله بها حرية الاختيار التي أنعم الله بها عليك، حرية الكسب التي هي سبب سعادتك، هذه الحرية ليست إلى ما شاء الله، إنها محدودة بالموت، دققوا في الآية:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

تسابق مع الزمن،

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا))

هذه الدنيا لو خلت من معرفة الله عز وجل، لو خلت من طاعته، لو خلت من حبه لو خلت من الالتزام بشرعه، لو خلت من طلب العلم، لو هذه الدنيا خلت من معرفة الله عز وجل ماذا فيها؟ ماذا ينتظر الإنسان فيها، أجاب النبي عن هذا السؤال، أجاب النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فما ينتظر أحدكم من الدنيا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا))

قد يأتي فقر مفاجئ، وعلى الرغم من الذكاء الشديد، والدقة البالغة في كسب المال وفي تثمير المال قد يأتي فقر مفاجئ.

((أو غناً مطغياً))

وقد يأتي وعده النبي مصيبة كبيرة، الغنى الذي يحملك على معصية الله، هذا مصيبة.

((أو مرضاً مفسداً أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر))

[أخرجه الحاكم عن أبو هريرة]

أيها الإخوة الأكارم، هذا العقل الذي أودعه الله فينا هذه الجوهرة الثمينة التي هي أثمن ما في الوجود، هذا العقل الذي أكرمنا الله به لم يكرمنا الله به من أجل أن نوقع بين الناس من خلاله. لذلك الإنسان إذا وقع في شر أعماله الكلمة الوحيدة التي تقال له: أين عقلك؟ لِمَ لم تعمل عقلك؟ لِمَ لم تفكر في هذا المصير؟ لِمَ لم تتوقع هذه النتائج؟ لِمَ لم تصطلح مع الله؟ لِمَ خرجت عن منهج الله؟ هذا الذي يعطل عقله، أو يعمله في غير ما خلق له، يدفع الثمن باهظاً.

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا ، أيها الإخوة الأكارم، يقول الله عز وجل فيما ورد في الأحاديث القدسية:

((إني والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى الناس نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي))

هذه الحواس الخمس، نعمة الأهل، نعمة الأولاد، نعمة المأوى، نعمة العقل.

((أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي))

ذكرت هذا الحديث للتأكيد على أن أبواب التوبة مفتوحة طوال العام.

((أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم)).

ربنا عز وجل حبيب لنا أو طبيب، حبيب إن أطعناه، وطبيب إن عصيناه.

((أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب))

يجب أن تعلم علم اليقين كما قال الله عز وجل:

﴿ وَمَا أَصَابكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

[سورة الشورى]

((لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيتُ كُلَّ إنسان مسألتَهُ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَطُ إذا أُدخلَ البحرَ . ذلك لأن عطائي كلام وأخذي كلام . فمن وَجَدَ خيراً فليَحْمَدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبو ذر الغفاري]

((أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، واقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك اللهم ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارضَ عنا اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً، وسائر بلاد المسلمين، اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسينا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء.

اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار فنسأل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من فوقهم ولي العطاء، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء.

اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقررنا أعيننا من رضوانك يا رب العالمين.

اللهم بارك لنا في أيام العيد، اجعلها أيام طاعة، اجعلها أيام قرب، اجعلها أيام عمل صالح، اجعلها صلة للرحم يا أكرم الأكرمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين وخذ بيد ولاة المسلمين إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس :{12-14}

خطبة عن عيد الفطر لعام 1406هـ - 1986م.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1986-06-08

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا، الله أكبر ما تعالت أصوات الناس بالتكبير، الله أكبر ما تفتحت أبواب السماء في هذا الصباح الكبير، الله أكبر ما تنزلت علينا رحمة ربنا العلي القدير، الله أكبر ما تقاربت قلوب المسلمين، الله أكبر ما تظافرت الجهود وصدقت العهود.

أيها الإخوة المؤمنون، هذا يوم من أيام الله المباركة، جمعكم الله في صباحه المبارك على طهارة وتقوى، بعد أن أديتم فريضة الصوم بحمد الله وعونه، وهاأنتم أولائي في هذا الصباح تضعون أيديكم في يدي الله سبحانه وتعالى، تتسلمون منه جائزة صيامكم، فهنئاً لكم ما صمتم حق الصيام، وما أكملتم العدة بالتمام، وهنيئاً لكم وما أفطرتم وأقبلتم في هذا الصباح، على تكبر الله وتمجيده، وشكره.

﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾

[سورة البقرة].

آيات العيد هي هذه الآيات،

﴿ **وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ** ﴾

معنى ذلك أنه حصل في هذا الشهر الهدى فمن حصل له الهدى حُق له أن يكبر تعظيماً لله، على هذا الفضل الكبير، وأما من صام عن الطعام والشراب وبقي هو هو في أخلاقه، وفي عاداته، وفي سلوكه، فكأنه ما صام هذا الشهر، تقول الله أكبر على ماذا؟ على الهدى الذي تفضل الله به علينا.

﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً** ﴾

[سورة السجدة الآية: 18]

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة القصص الآية: 61]

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الزمر الآية: 9]

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة القلم]

هذا الذي عرف الله في هذا الشهر الكريم، واستقام على أمره، وتقرب إليه، وسعد بقربه، فأحس بإنسانيته، أحس أنه إنسان، خلقه الله ليرحمه.

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود الآية: 119].

هذا الذي شعر بنعمة الهدى، كان ميتاً فأحياه الله، كان ضالاً فهداه الله، كان شقياً فأسعده الله، إذا حصل هذا الهدى وكان ملتزماً في شهر الصيام، وتفتحت له أبواب السماء، فأقبل على الله عليه الصلاة والسلام وتلقى منه النور والتأييد، حُق له أن يقول الله أكبر، هذه آيات العيد

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

العيد لمن عاد إلى الله، لمن سعد بقربه، لمن انضوى تحت ظله، لمن التزم بشرعه، لمن طبق سنة نبيه، هذا هو العيد، أما أن يصبح العيد نموذجاً لعاداتنا، نلبس الجديد، ونأكل الثريد، ونأكل من الحلوى ما نريد، وقلوبنا غافلة ساهية، فليس في عيد ولو لبس الجديد، هذا الذي ما عرف الله عز وجل ليس في عيد، إنما العيد عنده جزء من التراث الشعبي إن صح التعبير، لكن العيد الحقيقي من عاد إلى الله عز وجل وأعياد المسلمين لها سمى، مناسبات للطاعات وليست مناسبات للمعاصي، إنما مناسبات يطيع الله فيها ربه، ويذكره، ويشكره، ويكبره.

أيها الإخوة الأكارم، عن سعد الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

((إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطريق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة))

[أخرجه الطبراني عن أوس الأنصاري]

صام المسلمون شهر رمضان، وجاء يوم الفطر، فهنيئاً لمن صام، والويل لمن أفطر في هذا اليوم جميع الناس يأكلون ويشربون، ولكن الذي يأكل ويشرب بعد أن صام الشهر الكريم يشعر بطاعة الله عز وجل، يشعر بعبوديته لله، يشعر أنه ما أدى عليه، يشعر أنه لله عبد صالح.

أيها الإخوة المؤمنون، النبي عليه الصلاة والسلام قال في بضعة أحاديث بدأها بكلمة "طوبى" ومعنى طوبى أي مصدر طاب، طابت حياته، طابت نفسيته، طابت صحته، طابت علاقاته، طابت أسرته، طاب عمله.

((طوبى للغرباء، فقيل: من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر من يطيعهم))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمرو]

((بدأ الدين غريباً، وسيعود غريباً فطوبى للغرباء))

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ ﴾

[سورة الأنعام الآية: 116]

﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾

[سورة النجم]

هل أنت مع الأكثرية الضالة، أم مع الأقلية المهتدية، هل أنت مع الأكثرية التائهة الشاردة، الفاسقة، أم مع الأقلية المستقيمة.

((طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر من يطيعهم))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء، أخلصوا أعمالهم من شوائب الأكدار، ومحضوا عبادتهم للواحد القهار، الواصلون للحبل، الباذلون للفضل الحاكمون بالعدل، لما أخصلوا لله، لم يكن لغيره عليهم سلطان، وهم منه في حماية وأمان))

الإمام الغزالي يقول: عقبة الإخلاص عقبة كؤد، لكنه بها ينال كل مطلوب ومقصود.

((طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء))

((طوبى للسابقين إلى ظل الله، الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، لم يطلبوا فوق ما لهم وإذا سئلوه بذلوه، والذين يحكمون للناس بكمهم لأنفسهم، طوبى للسابقين إلى ظل الله))

حديث دقيق جداً:

((الذين أعطوا الحق قبلوه . هذا حقك من الميراث، هذا هو ما لك يقول لك قبلت أما غير المؤمن يريد أكثر من حقه . وإذا سئلوه بذلوه، والذين يحكمون للناس بكمهم لأنفسهم طوبى للسابقين إلى ظل الله))

((طوبى للعلماء، طوبى للعباد، ويل لأهل الأسواق الشاردين . لأن أهل الأسواق الغافلين عن ذكر الله استولت الغفلة، والتخليط، والغش، والخيانة، والأيمان الباطلة، استغلقت عليهم، واستولت على قلوبهم .))

((طوبى لمن لبات حاجاً وأصبح غازياً . من هو، من هذا الذي يبيت كل يوم حاجاً ويصبح غازياً؟ رجلٌ مستور، ذو عيال، متعفف، قانع باليسير من الدنيا، يدخل عليهم ضاحكاً ويخرج منهم ضاحكاً، فو الذي نفسي بيده إنهم هم الحاجون الغازون في سبيل الله .))

ذو النون يقول: سلب الغنى من سلب الرضا، ومن لم يقنعه اليسير افتقر في طلب الكثير، وألزم القناعة تشرف في الدنيا والآخرة، وما بثقت أغصان ذل إلا على بذور طمع.

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيب الناس، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهويه البدعة، شغله عيبه عن عيوب الناس، وأمسك الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله،

ووسعته السنة، ولم تستهويه البدعة))

الإمام الشعراني يقول: من علامة بعد العبد عن حضرة ربه نسيانه عيوبه، ونقائصه لأن الحق نور، فلو كان متصلاً بالحق لكشف له نور الحق عيوب نفسه، فاشتغل بها، وترك الحديث عن عيوب غيره.

((طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله))

الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: موت الإنسان بعد أن كبر وعرف ربه خير له من أن يموت طفلاً بلا حساب في الآخرة يبدو أن في الجنة عطاء ثميناً جداً لا يناله إلا من عاش عمراً، وأطاع ربه، وأقام على أمره.

((طوبى لمن بُعث يوم القيامة وجوفه محشو بالقرآن، طوبى لمن ملك لسانه . لا غيبة، لا نميمة، لا فحش، لا مزاح رخيص . طوبى لمن ملكه لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته))

((طوبى لمن تواضع من غير منقصة))

هذا حديث مهم جداً، طوبى لمن تواضع من غير منقصة، أي لا يضع نفسه بمكان يذري به، ويؤدي إلى تضييع حق الحق، وعرفوا العلماء التواضع بأنه خفض الجناح للمؤمنين مع بقاء عزة الدين، وإذا أغضبك أحد لغير شيء فلا تبدأه بالصلح، لأنك تذل نفسك في غير محل الإفراط في التواضع يورث الذل، الإفراط في المؤآنسة يورث المهانة.

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة المائدة الآية: 54].

التكبر على المتكبر صدقة، التواضع من معرفة الله، ومعرفة عيوب النفس، الذلة الدناءة والخسة، وبذل النفس في نيل حظوظها، الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: ما تكبر عليّ متكبر مرتين.

((طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة)).

رجل مر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تخشع، وتذلل، وبالغ في الخضوع، فقال له عمر: ألست مسلماً؟ قال: بلى، قال: فارفع رأسك، وامدد عنقك، فإن الإسلام عزيز.

((طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم هل الذل والمسكنة))

((طوبى لمن ذل في نفسه))

من أدعية المصطفى ﷺ:

((اللهم رني بعين نفسي صغيراً، وفي عين الناس كبيراً))

الآية معكوسة في آخر الزمن، هو في عين نفسه كبير، وفي أعين الناس صغير، هذا الشارد، الضال، الفاسد، في عين نفسه كبير، وفي عين الناس صغير.

((طوبى لمن ذل في نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريرته))

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء]

((وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله))

أيها الإخوة المؤمنون، هذه الأحاديث الشريفة التي تبدأ بكلمة "طوبى" علامات على طريق الهدى، من علامات الهدى:

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

أيها الإخوة المؤمنون، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا.

أيها الإخوة المؤمنون، الإمام علي كرم الله وجهه يقول هذه الوصية: لا تكن ممن يرجو الآخرة من غير عمل.

((الكَيِّس مَنْ دانَ نفسَه، وعَمِلَ لما بعد الموت، والعاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا وتمنَّى على الله الأماني))

[أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس].

طلب الجنة من غير عمل ذنب من الذنوب، لا تكن ممن يرجو الآخرة من غير العمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، هلك المسوفون، الذين يسفون التوبة، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين، قوله لا يطابق عمله، سريرته لا تطابق جهره، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له، إن سقم . يعني إن مرض . ظل نادماً، وإن صح أمن لاهياً.

يعجب بنفسه إذ عوفي، ويقنت إذا ابتلي، إن أصابه بلاء دعا مضطراً، وإن ناله رخاء أعرض مغتراً، تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن، أليس الموت حق؟ تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بذنب أدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إذا استغنى بطر وفُتن، وإن افتقر قنت ووهن، يقصر إذا عمل ويبالغ إذا سأل، إن عرض له شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة، وإن عرته محنة يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدل، ومن العمل مقل، ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرماً، والغربة مغنماً، يخشى الموت، ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعة نفسه ما يحقره من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره، ويغوي نفسه، يطاع، ويعصي، ويستوفي ولا يوفي، يخشى الخلق في غير ربه، ولا يخشى ربه في خلقه.

أيها الإخوة المؤمنون، مرة ثانية: الذي أفطر في هذا اليوم يوم العيد لا يحق له إلا أن يفطر فمه، أما استقامته في رمضان استقامة جوارحه، غض بصره، ترفع أذنه عن سماع ما يغضب الله، هذا ينبغي أن يكون مستمراً

دائماً وأبداً، وإلا لا معنى للصيام، لا معنى للقيام، لا معنى للطاعة في شهر واحد ونعود بعد هذا الشهر إلى ما كنا عليه.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، واقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارضَ عنا واقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، واقبل توبتنا، وفك أسرنا، وأحسن خلاصنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا.

اللهم إنا نعوذ بك من النفاق والشقاق، وسوق الأخلاق، اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم أصلح لنا ديننا، الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، ومن الخوف إلا منك، نعوذ بك عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء، مولانا رب العالمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن رواتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {13-14}

خطبة عيد الفطر السعيد لعام 1395هـ - 1975م : عماد العيد التعاطف والتراحم والحنان والتآخي والبذل والسخاء.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1975-10-05

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر تسعاً.

الله أكبر ما تعالت أصوات الناس بالتكبير.

الله أكبر ما تفتحت أبوابُ السماء في هذا الصباح الكبير.

الله أكبر ما تنزلت علينا رحمة ربنا العلي القدير.

الله أكبر ما تقاربت قلوبُ المسلمين.

الله أكبر ما تضافرت الجهود، وصدقت العهود.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم أنبيائه، وصفوة خلقه.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها المؤمنون:

" عن سعد بن أوس الأنصاري عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يومُ عيد الفطر، وقفت الملائكة على أبواب الطُرق فنادوا: أغدوا يا معشر المسلمين، إلى ربٍ كريم يمنُّ بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد

أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم..فإذا صلوا نادى منادٍ ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ".

أيها المؤمنون:

لقد مضى رمضان المبارك، وقد صامه المسلمون، وأخلص فيه المؤمنون، فنقَّى ضمائرهم، وطهر سرائرهم، وآتاهم الله رشدهم وتقواهم.

واعتكف فيه المتقون، وخاصة المؤمنين، فارتقوا من حال إلى حال ومن رؤية إلى رؤية، ومن مقام إلى مقام، ثم جاء العيد، وهو يوم من أيام الله المباركة، جمعكم اللهُ في صباحه المبارك على طهارة، وتقوى بعد أن أديتم فريضة الصيام بحمد لله وعونه، وها أنتم أولاء تضعون أيديكم في يد أكرم الأكرمين، لتتسلموا منه جائزة صيامكم وقيامكم وطاعتكم، فهنيئاً لكم صومكم، وهنيئاً لكم إفطاركم، وتقبل الله فطرتكم.

أيها المؤمنون:

ليس من الرشاد أن يعيش المرء في جوٍّ من الصفاء النفسي، والسمو الأخلاقي شهراً واحداً في سنته، ثم ينطلق بعدها إلى حظوظه وشهواته لا يميِّز بين حلال وحرام، وقرب وبعد، فمثل هذا من رمضان مطية لريائه ومكره، بل الرشاد والهدى، أن يشعر المرء بدافع مستمر يدفعه إلى الطاعة، والإقبال وتطبيق القرآن واقتفاء أثر النبي العدنان.

لذلك يتخذ المؤمن الحق من رمضان كل عام نقطة انطلاق جديدة نحو إيمان أعمق، وسلوك أقوم وسعادة أكبر، والمؤمن الحق يصوم فمه فيفطر وتصوم جوارحه فلا تفطر، فلا يأتي المؤمن في عامه منكراً ولا يشهد زوراً، ولا يأكل حق أحد ولا يتجاوز حدَّه، لأنه يذكر ميثاقه الباطني الذي عقده في رمضان على أن يصوم عن المحرمات والخبائث عمره كله.

فإن هو فعل ذلك فقد أفاد من رمضان وخرج من مشفاه معافىً سليماً من كل داء نفسي.

ليس البلية في أيامنا عجباً ً بل السلامةُ منها أعجب العجب
ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الذي قد مات والده إن اليتيم يتم العقل والحسب

أيها الإخوة:

عماد العيد التعاطف والتراحم والحنان، والتآخي والبذل والسخاء.

حُكي أن النبي ﷺ ؛ خرج لصلاة العيد، والصبيان يلعبون وفيهم صبي جالس في ناحية يبكي، وعليه ثياب خلقة، فقال له النبي ﷺ: أيها الصبي، مالك تبكي ولا تلعبُ مع أترابك فقال له الصبي ولم يعرف أنه رسول الله ﷺ: خلِّ عني أيها الرجل، فإن أبي مات في عزوة كذا مع النبي، فتزوجت أمي بزوج غيره، فأصابني ما أصابني فلما رأيت الصبيان يلعبون وعليهم الثياب تجدد حزني وذكرت مصيبتي، فلذلك بكيت، فأخذه النبي ﷺ من يده وقال له، أباً ترضى أن أكون لك أماً وعليٌ عماً، والحسن والحسين أخوين، فقال: كيف لا أرضى يا رسول الله فحمله رسول الله ﷺ إلى منزله، وألبسه أحسن الثياب وزينه، وأطعمه وأرضاه، فخرج مسروراً ضاحكاً يعدو إلى الصبيان فلما رآه رفاقه قالوا له: كنت الآن تبكي، فمالك صرت مسروراً ؟

فقال: كنت جائعاً فشبعت وعارياً فاكتسيت، ويتيماً فصار رسول الله ﷺ أبي فقال الصبيان ليتنا كنا مثلك، واستمر الصبي في تلك الحال حتى انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه فخرج يبكي و يحثو التراب على رأسه ويقول: الآن أصبحت يتيماً، الآن صرت غريباً ".

وتروي كتب السيرة أن أبا بكر رضي الله عنه ضمَّه إلى نفسه.

أيها الإخوة:

اعلموا أنه ليس بينكم وبين أن تروا من الله ما تحبون إلا أن تعملوا فيما بينكم وبين خلقه ما يحب، وحينئذ لا تعدموا بره ولا تفتقدوا خيره ومن جعل لنفسه حظاً من حسن الظن بالله فقد رَوَّح عن نفسه وكفاه الله كل مؤمنة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس : {14-14}

خطب الأعياد 01 - خطبة عيد الأضحى المبارك لعام 1394هـ - 1974م : الأضحية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-12-1974

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر ما أشرقت شمس هذا اليوم الأغر.

الله أكبر ما أشتاق مسلم إلى الأرض الحجازية وحنَّ قلبه إلى الروضة النبوية.

الله أكبر ما أحرم الحجاج من الميقات، ورفعوا أصواتهم بالتلبية في عرفات.

الله أكبر ما لبَّى الملبون، وطاف الطائفون وأهدى المضحون.

الله أكبر ما عنت الوجوه للحي القيوم.

الله أكبر ما سعت الأقدام لزيارة سيد الأنام.

سبحانك اللهم نحمدك، ونستغفرك ونتوب إليك ونصلي على حبيبك سيدنا محمد ﷺ.

أيها الإخوة المؤمنون:

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)﴾

(سورة الحج)

في هذه الساعات المباركة ينطلق الحجيج إلى منى، لرمي جمرة العقبة وكأنهم بعد ما تعرفوا إلى الله، بعرفة،

يعلنون برميهم الجمار عداوتهم للشيطان، ومحاربتهم له، فما له بعد هذا اليوم عليهم من سبيل لقد ملأت المعرفة أفئدتهم، أجلت أبصارهم، لقد تسلحوا بالعلم وتزودوا بالتقوى..

وما أن يفرغ الحجاج من الرمي حتى يتجهوا إلى نحر الأضاحي يتخيَّرونها، ويتخيَّرون أحسنها، وكأنهم بتضحيتهم هذه يعبرون عن ذبح شهواتهم، ونحرها، والتضحية بكل غالٍ ورخيص، ونفس ونفيس في سبيل مرضاة رب العالمين، ومن بيده الأمر كله، ويحيون بهذه الأضاحي سنة أبي الأنبياء، سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويذكرون ثباته على الحق وطاعته لربه.

فهلا ضحيتم أيها المؤمنون بحظوظ أنفسكم، وشهواتها، ابتغاء مرضاة الله وهلا نحرتم الأضاحي تعبيراً عن تضحيتكم وامتثالاً لأمر نبيكم حيث

ففي الحديث:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَجَدَ سَعَةً فَلَمْ يُضَحِّ فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا))

(أخرجه أحمد)

أيها الإخوة المؤمنون:

الأضحية واجبة على المسلم الحرِّ المقيم الموسر، وحكمتها التوسعة على العيال، والأقارب، وفقراء المسلمين، ووقت وجوبها أيام التشريق الثلاثة من بعد صلاة العيد إلى غروب شمس ثالث يوم من أيام العيد ولا يجوز النحر قبل الصلاة لقوله ﷺ:

((عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ صَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ))

(أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد)

والأضحية أفضل من التصدق بثمنها، وتجوز الأضحية من الغنم من ضأن أو معز، وبالإبل والبقر والغنم، يشترط أن يكون قد أتمَّ السنة ولا تصح التضحية بالعمياء ولا العجفاء، ولا العرجاء، ويستحب في الأضحية أسمنها وأحسنها لقوله ﷺ:

((عظموا ضحاياكم، فإنها على الصراط مطاياكم))

والأضحية هدية العبد إلى ربه، وقربه إليه، فليحسن أحدكم الهدية إلى ربه فقد كان عليه الصلاة والسلام يختار الكبش الأبيض الأقرن، ويستحب للمضحي أن يأكل من أضحيته، وأن يهدي منها أقرباءه، وأصدقاءه، وجيرانه، وأن يتصدق بثلثها، أو أكثر لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36)﴾

(سورة الحج)

ولا يجوز بيع جلدها، ويستحسن أن يحضر صاحب الأضحية الذبح فإن استطاع فليذبح بيده.

قال تعالى:

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)﴾

(سورة الحج)

أيها الإخوة المؤمنون:

اعلموا أنه ليس بينكم وبين أن تروا من الله ما تحبون إلا تعملوا فيما بينكم وبين خلقه ما يحب، وحينئذ لا تعدمون بره، ولا تفتقدون خيره وينجز لكم وعده، ومن جعل لنفسه حظاً من حسن الظن بالله فقد روَّح عن نفسه وكفاه الله كل مؤمنة، فصلوا الذي بينكم وبين ربكم بخدمة خلقه، وبرِّ عباده، والتودد إليهم، يكشف الله تعالى ضركم، وينصركم على عدوكم ويعظم لكم أجراً.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

